أصوات الحركات العربية: دراسة دلالية جمالية

د. منال "محمد هاشم" نجار*

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٨/١٢/١٥ تاريخ القبول: ٢٠٠٩/٩/٢٩

ملخص

يعرض هذا البحث عناية علماء العربية القدامى بطبيعة العلاقة بين حركات الألفـاظ ومعانيهـا ودورها في تحقيق جمال اللفظ وما تبعثه من متعة.

اهتم علماء اللغة والنحو بهذين البعديْن، فجاءت آراؤهم مبثوثة في كتبهم مختلفة الاختصاصات؛ فهم في الغالب يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى، والفتحة الخفيفـة للمعنـى الخفيف والكسرة للمعنى المتوسط.

وهم أيضا يستخدمون الفروق بين الفتحة من ناحية والكسرة والضمة من ناحية أخرى في تأليف اللفظة، لتحقيق غاياتٍ جمالية على المستوى الصوتي معتمدين حسهم اللغوي.

درست هذه الآراء وفق رؤية جديدة، قوامها الإحساس بحركة اللفظة دلاليا وجماليا، انطلاقا من مخارج هذه الحركة وخصائصها النطقية التي ارتآها الدرس الصوتي الحديث مع المناقشة والتحليل، وزودت البحث بعرض آراء الدارسين المعاصرين ومواقفهم من طبيعة هذه العلاقة.

Abstract

The Sounds of Arabic Diacritical Marks: A Semantic and Aesthetic Study

A deliberate and thorough reading is required to deal with this research in the Arabic language which is self-evident of being able to stimulate readers' imagination, elevate their taste and arouse their senses.

This research highlights the relationship examined by old Arabic scholars between the Arabic diacritical marks (short vowels), their meanings and role in realizing the beauty of the word. The studies of old scholars focused on these two dimensions varying in views in line with their various specializations and concerns. According to them, the short vowel /u/ (aldamma) is considered to be the strongest vowel and thus used for expressing strong meanings, while the short vowel /a/ (alfatha) expresses light or simple meanings; the short vowel /i/ (alkasra) , on the other hand, expresses meanings of moderate effect.

Furthermore, Old Arabs used to employ the differences that exist between alfatha on the one hand and between askasra and aldamma on the other hand to build up the word

* قسم اللغة العربية، جامعة الشرق الأوسط.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

with a view to creating aesthetic purposes on the phonetic level relying on their own linguistic competence and understanding.

All previous literature in this regard has been examined in accordance with a new perspective aiming at capturing the semantic as well as the artistic dimensions of the diacritical marks of a word. In applying this approach, the research adopted, analyzed and discussed points of articulation of each diacritical mark and its articulatory characteristics as stated in modern phonetics. The research, moreover, provides a review of opinions and attitudes of contemporary scholars interested in the relation between the sounds of diacritical marks and their meanings.

Key Words: diacritical marks, beauty, short vowel /a/ (al fatha) the power of the word, the diacritical mark and its semantic value.

مقدمة

فبقدْر ما درس القدماء معاني أصوات حروف ألفاظهم وتوقفوا عند بعض نواحيهـا وعـالجوا جماليتها، بقدْر ما وقفوا عند معاني الحركات وعلاقتها بمعاني ألفاظها، ودورها فـي تحقيـق هـذا الجمال من جهة أخرى. ولبيان بعض هذه الدلالات نتساءل:

لم كانت الفتحة فوق الحرف والكسرة تحته؟

لم جاءت الضمة بهذا الرَّسم (ـــُـــ) ولم تأت برسْم (ـــَـــ) أو (ـــِـــ)؟

ولم استُخدمت الفتحة دون أختيها علامة إعراب لكثير من الأبواب النحوية؟

ولماذا اختصت المرفوعات بالضمة والمجرورات بالكسرة؟

ولماذا تقع التاء في مخاطبة المذكر مفتوحة وفي مخاطبة المؤنث مكـسورة، وتقـع تـاء المـتكلم مضمومة؟

وما الفرق في قِراءة الآية الكريمة (أَفحسِب الذين كفروا) (بكسر السين)، وقراءتها (أفحَسْب الـذين كفروا) (بتسكين السين)؟

وما الفرق في قراءة كلمة مستشزَرات (بفتح الزاي) في بيت امرئ القيس، وقـراءة مستـشزِرات (بكسر الزاي)؟

وهل هناك علاقة تجمع الأفعال المضارعة (يقول، يصول، يجول، يفوز، يقود، يثور، يعـول،...) غير أنّ أجوفها جاء (واوًا)؟

ولماذا جاءت الأفعال الآتية مكسورة العين: (حذِر، مرِض، فزِع، حزِن،...)؟

والأفعال: (شرُف، كرُم، ظرُف، أدُب،...) مضمومة العين؟

وفي أي سياق ومقام نقول: (عَوَجا) بالفتح و (عِوَجا) بالكسر؟

وما المعنى الذي تومئ إليه الحركة الطويلة (الألف) في كلمة (الرحمن) والمعنى الذي تومئ إليـه الحركة الطويلة (الياء) في كلمة (رحيم)؟

ولماذا لا نجد في كلام العرب ألفاظًا على وزن (فِعُل)؟

ولماذا كلمة (مَلْك) يميني بالفتح أجمل من كلمة (مِلْك) يميني بالكسر؟ وشَغَب أجمل مِن شَغِب؟

ولماذا الألفاظ (طيف، فَقْد، أرض) في حالة الإفراد أرق الألفاظ وأجملها، وإذا جُمِعَت (طيوف، فقود، أرضون) زالت عنها الطلاوة وفارقتها البهجة؟ بينما الجمع في الألفاظ (ألباب، أكواب، أحبار) أكسبها من الحُسن والجمال ما لم يوجد لها حالة الإفراد (اللُّب، كوب، حِبْر)؟

وأخيرًا لماذا تميل لغة بعض الأقوام أو الأشخاص إلى الضم، وأخرى إلى الفتح ويميل آخرون إلى الكسر؟

أبرز ما ستكشف عنه هذه الدراسة:

أنّ حركات الألفاظ لم تأت جزافًا أو عبثًا، وإنما ترجع إلى وجود علاقة بينها وبين معانيها المطروحة، يمكن الرجوع إليها والاحتجاج بها، وأنّ علماء العربية القدامى برعوا في معاني حركات الألفاظ ووصلوا إلى نتائج علمية، وأننا يمكننا العَوْد دَوْمًا للتكلم في دلالاتها وقراءتها قراءة جديدة، منطلقين من نتائج علم الأصوات الحديث من حيث النظر في خصائص هذه الحركات ومخارجها.

الحركات العربية: (القصيرة والطويلة)
خصائصها النطقية والفيزيائية

اتفق علماء اللغة أن الحركات ثلاث هي: الفتحة والضمة والكسرة وهي أبعاض حروف المد: الألف والواو والياء؛ فمادة تكوين حروف المد تماثل مادة الحركات القصيرة، فالحركة وحرف المد من جنس واحد(١). وهذا التماثل يؤدي إلى نتيجة مفادها: أن حروف المد في حقيقتها لا يمكن أن تكون إلا حركات طويلة. ويصوّر سيبويه هذا التماثل عندما ذكر عن الخليل – أن الفتحة والضمة والكسرة أجزاء من الألف والواو والياء "فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو"(٢). ويصوّره ابن جني بقوله: و "أما ما في أيدي الناس... فثلاث: الضمة والكسرة والفتحة ومحصولها على الحقيقة ست"(٣). وابن سينا بقوله: إن الفتحة أخت الألف، والضمة أخت الواو، والكسرة أخت الياء(٤). بالإضافة إلى أن القدماء عندما وصفوا هذه الحروف قالوا: هذه الحروف هوائية لا حيّز لها(٥)، ويشير سيبويه إلى أنها حروف خفية اتّسع مخرجها، وسمى بعضها الهاوي فقال: "وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرِجها وأخفاهن وأوسعهنّ مخرجًا الألف ثم الياء ثم الواو"(٦).

وما هذه الأمور جميعًا إلا صفات الحركات القصيرة كما سنتبينها لاحقًا. وأن كل حركة من هذه الحركات تناسب وتوافق ما كان جنسها من حروف المد في الخواص والصفات، وأن الاختلاف

---

(١) ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م): **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ، ج٩، ص ٦٤.

(٢) سيبويه، عمرو بن قنبر (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م): **الكتاب**، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إيميل بديع يعقوب، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٤، ص ٣٦٣.

(٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ/١٠٠٢م): **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ج٣، ص ١٢٢.

(٤) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٦م): **أسباب حدوث الحروف**، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، ط١، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٨٤-٨٥.

(٥) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م): **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٠، ج١، ص٥٧.

(٦) سيبويه، **الكتاب**، ج٤، ص٥٧٥.

الرئيسي بينهما: هو فرق كمي، حاولوا معرفته، وأستطيع القول إنهم نجحوا في ذلك. فابن جني عبّر عن هذا الفرق في حدود علاقة الجزء بالكل[١]. يقول: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين...، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، فلا يبلغ الناطق بها لدى الحروف التي هي أبعاضها، فإن بلغ بها مداها تكملت الحركات حروفًا، أعني ألفًا وياءً وواوًا"[٢]. أما ابن سينا فقد ذكر لنا نسبة حروف المد إلى الحركات من حيث طول المدة الزمنية في النطق. فقال: "ولكني أعلم يقينًا أن الألف الممدودة المصوّتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة، وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف، وكذلك نسبة الواو المصوّتة إلى الضمة والياء المصوّتة إلى الكسرة"[٣].

وقال ابن قيّم الجوزية: إن "الضمة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق، فيحدث مع ذلك صويت خفي مقارن للحرف إن امتد كان (واوا). وإن قصر كان ضمة، وكذلك الفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف... وإن مدت كانت (ألفا)، وإن قصرت فهي فتحة. وكذلك القول في الكسرة"[٤].

وأشير هنا إلى أنه لم يقرر بشكل نهائي نسبة الحركة الطويلة إلى الحركة القصيرة من حيث مدتها الزمنية؛ أ هي ضعف أم أضعاف. لكن العكبري قرّر ذلك عند حديثه عن ياء المنقوص بقوله: "لم تُضَم الياء ههنا، ولم تُكسر لوجهين: أحدهما: أن الياء مقدرة بكسرتين"[٥]. وعيّن هذه المدة العلاّمة شمس الدين أحمد[٦] في كتابه شرح مراح الأرواح بقوله: "فالواو من جنس الضمة لكونها مركبة من الضمتين، والياء من جنس الكسرة لأنها مركبة من الكسرتين، أي وضعت مقدار الكسرتين، وكذا الألف متولدة من الفتحة لأن الألف مركبة من الفتحتين، أي وُصِفت مقدار الفتحتين"[٧]. وهكذا تُظْهر هذه الأقوال: أن الفرق بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة هو

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ/١٠٠٢م): **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٣١.

(٢) **المصدر السابق**، ج١، ص ٢٦،٢٧. والألف والواو والياء في هذا النص حركات طويلة وليست الواو الصامتة شبه الحركة والياء الصامتة شبه الحركة.

(٣) ابن سينا، **أسباب حدوث الحروف**، ص ٨٥.

(٤) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م): **بدائع الفوائد**، ضبط نصه: أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج١، ص٣٠.

(٥) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (٦١٦هـ/١٢١٩م): **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: غازي مختار طليمات، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، بدون تاريخ،، ج١، ص٨١.

(٦) وهو من علماء القرن التاسع. وهو معروف (بديكنقوز).

(٧) ديكنقوز، شمس الدين أحمد: **شرح مراح الأرواح**، أعادت طبعه **بالأوفست**، مكتبة المثنى، بغداد، لصاحبها قاسم محمد الرجب، ١٣١٧هـ، ج٣، ص٢٠١.

والذي يؤكد أيضًا أن العرب توصلوا إلى استنتاج فكرة المدة أو الكمية، وأن المصوت الطويل معادل لمصوتين قصيرين: نص القارئ الهروي – وهو من علماء التجويد ت ١٠١٤ هـ – كما ترجمه الأستاذ كانتينو حيث قال " الألف مؤلفة من فتحتين، والواو من ضمتين، والياء من كسرتين". انظر: كانتينو، جان: **دروس في علم أصوات العربية**. ترجمة: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٦٦، ص ١٥١، وانظر: فليش، هنري : **التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب**. تحقيق: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ج ٢٣، ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م، ص٨٧.

النصف، فالحركات الطويلة تعادل ضعف الحركة القصيرة. فجاء تعبيرهم عن هذا الفرق بينهما دقيقًا يدل على وعي تام في ضبط البنية. ويوافق هذا ما جاء به بعض المُحْدَثِين من أنّ الحركة الطويلة تعادل ضعفي الحركة القصيرة، وأن الحركة تعادل من حيث زمنها نصف زمن حرف المد(١)، وكمال بشر لا يرى أن هناك فرقًا بين الحركات الطويلة والقصيرة إلا في الكمية، فيقول: "لا فرق بين الكسرة القصيرة، والطويلة، إلا الطول فقط"(٢). وشاركه الرأي أحمد مختار عمر(٣). وذهب مذهبهما داود عبده حيث يقدر طول الألف بفتحتين قصيرتين(٤). وقال محمد الأنطاكي إن طول الياء ضعف طول الكسرة القصيرة، وهما متماثلتان في جميع الصفات والأحكام عدا الطول(٥). ووافقه إبراهيم أنيس(٦). وهذا يوافق أيضاً نتائج التحليل المخبري بجهاز (السوناغراف) (٧) حيث قاس العلماء هذه المدة بواسطته.

واتفقت الدراسات القديمة والحديثة أيضًا على أنّ كل حركة من الحركات القصيرة والطويلة لا تشبه الأخرى، بل تختلف عنها في كثير من سماتها النطقية والفيزيائية. فهذه الحركات تختلف من حيث الخفة والثقل. وفكرة الخفة والثقل(٨) هي التي اعتمدها علماء اللغة والنحاة من أسس التعليل لكثير من الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية، والتي استندوا عليها في التكلم عن دلالات الحركات في ألفاظها، والتي لاحظها علماء البلاغة قديماً، ولجأ إليها رجال النقد والأدب حديثاً. والتي سنعتمدها في هذا البحث في الكشف عن معاني الحركات ودلالاتها. ويبدو أن التعرّف على الطريقة التي تم بموجبها إيجاد الحركات سيسهم أيضاً في وصفها للكشف عن معانيها، ويجعلنا نحتكم إلى منهجية واضحة في إصدار الأحكام المتصلة بالخفة والثقل.

أدرك بعض اللغويين القدامى أنّ الاختلاف في وضع جهاز النطق يؤدي إلى اختلاف الحركات؛ "فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة – الألف والواو والياء – اختلف

---

(١) انظر العاني، سلمان: **التشكيل الصوتي في اللغة العربية**. ترجمة: ياسر الملاح، ط١، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ١٩٨٣م، ص ٤١، ٤٣، ١١٥. وانظر بشر، كمال: **علم اللغة العام**، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٨٣.

(٢) بشر، كمال، **علم اللغة العام**، ص ٨٣.

(٣) عمر، أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٤) عبده، داود: **أبحاث في اللغة العربية**، مكتبة لبنان، ١٩٧٣م، ص ٣٧.

(٥) الأنطاكي، محمد، **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها**، ط٣، دار الشروق العربي، بيروت، بدون تاريخ، ج١، ص٣٦.

(٦) أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٦-٣٧، ص١٢٨.

(٧) استيتية، سمير: ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات: جهاز مبتكر لقياسها، **أبحاث اليرموك**، مجلد ٦، عدد ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، ص ٥٩-٩٩.

(٨) من المعلوم أن علماء اللغة قديما اعتمدوا الذوق وسيلة لمعرفة مخرج الحركة وصفتها، فبنوا حكمهم فيما يرجع إلى الحركات على أساس سمعي؛ فاستطاعوا أن يلحظوا خفة الحركات أو ثقلها دون اللجوء إلى أجهزة مساعدة مما شهده عصرنا الحديث، ومع هذا اتفق علم الأصوات الحديث إلى حد كبير مع ما جاء به القدماء كما سنرى في الصفحات القادمة.

الصدى المنبعث من الصدر"[١]؛ "وأمّا الألف المصوّتة وأختها الفتحة فأظن أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسًا غير مزاحم. وأما الواو المصوّتة وأختها الضمة فأظن أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق. وأما الياء المصوّتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل[٢]". وقولهم: و "الضمة حركة تضم لها الشفتان، والفتحة حركة ينفتح لها الفم – الشفتان –، والكسرة حركة ينكسر لها المخرج، ويهوي إلى أسفل"[٣]. وقولهم "أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلاً وعلوًا قد اكتنف جنبتي اللسان وضغطته وتباعد الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعدًا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت[٤].

ولم تخرج الدراسات الحديثة عمّا جاء به الأقدمون؛ حيث رأوا أنّ الذي يعطي الحركة صفاتها المميزة هو الشكل العام لحجيرة النطق، والشكل العام لحجيرة النطق يتقرر بناء على وضع اللسان والشفتين، فاللسان يتخذ أوضاعاً كثيرة مختلفة لإنتاج عدد كبير من الحركات المتنوعة في اللغات المختلفة، فتمايز الحركات يتم من خلال الشكل والوضع الذي يتخذه اللسان تبعًا للموقع الذي يستقر فيه، ليعطي ما يميز كل حركة عن الأخرى، "فيكون هذا الوضع أساسًا في إنتاج الحركات وتمييز بعضها من بعض، ولا يمكن إغفال هذا الوضع عند وصف أية حركة، أو تجاوزه عند التمييز بين الحركات[٥].

فاللسان في جميع الأحوال يتخذ شكلاً محدّبًا، فإذا حددنا النقطة العليا في تحدُّب اللسان، صار بإمكاننا أن نتصور الشكل العام للسان في الفم، ولتحديد النقطة العليا في التحدب علينا أن نعيّنها على محورين: أفقي وعمودي. فلا بد من معيار ثابت توصف به الحركات في اللغات الإنسانية، وهذا المعيار هو[٦]:

١. الوضع الأفقي للسان (Horizontal Position)

---

(١) ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ج١، ص٨.

(٢) ابن سينا، **أسباب حدوث الحروف**، ص٨٤-٨٥.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): **المطالع السعيدة**. تحقيق: طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص٩١- ٩٢.

(٤) ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ج١، ص٨.

(٥) استيتية، سمير: الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية، **مجلة البلقاء للبحوث والدراسات**، م٢، ع١، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ص ١٣٢.

(٦) استيتية، سمير: الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية، **مجلة البلقاء للبحوث والدراسات**، ص١٣٥.

٢. الوضع العمودي للسان (Vertical Position)

٣. وضع الشفتين (Lips Position)

أولا: الوَضْع الأفقي: علينا أن نعيّن النقطة العليا من حيث مكانها على سطح اللسان من الأمام إلى الخلف (أين تقع هذه النقطة على سطح اللسان).

ثانيًا: وأما الوَضْع العمودي: فينبغي أن نعيّن مدى ارتفاع النقطة العليا بالنسبة إلى الحنك الأعلى أي مدى قربها وبعدها من سقف الفم، وللوصف يكفي أن نبيّن ثلاث نقاط على المحور الأفقي وأربع نقاط على المحور العمودي.

أما النقاط على المحور العمودي فهي:

١. أعلى درجة يصل إليها اللسان عند نطق حركة ما (نسميه بالصائت المرتفع أو الضيق).

٢. نصف ضيق أو نصف مرتفع.

٣. نصف مفتوح (متسع).

٤. مفتوح (متسع) أدنى نقطة يصلها التحدب اللساني من سقف الفم.

والنقاط على المحور الأفقي تحدد حسب الدرجة التي يتقدم بها اللسان أو يتخلّف وهي:

١. أمامي: تحت الغار

٢. وسطي: بين الطبق والغار

٣. خلفي: تحت الغار

وتقسم الحركات وفق النظر إلى النقاط على المحور الأفقي[١] على النحو الآتي:

١. الحركات الأمامية: وهي الحركات التي يرتفع الجزء الأمامي من اللسان حال النطق بها تجاه مقدم الحنك أو الحنك الصلب.

٢. الحركات الخلفية: وهي الحركات التي يرتفع الجزء الخلفي من اللسان حال النطق بها إلى الحنك اللين، أو أقصى الحنك.

٣. الحركات الوسطى أو المركزية.

أما تقسيم هذه الحركات في ضوء المحور العمودي فقد تشكّل على الوجه الآتي:

أ. الحركات الضيقة: وهي الحركات التي يرتفع اللسان حال النطق بها تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة في منطقة الحركات.

ب. الحركات المتسعة: وهي الحركات التي يكون اللسان حال النطق بها منخفضا في قاع الفم إلى أقصى درجة.

---

١) بشر، كمال، **علم اللغة العام**، ص١٤٣، ١٤٥.

ج. الحركات نصف الضيقة ونصف المتسعة.

ثالثا: وبالنظر إلى وضع الشفتين (مضموم أو منبسط) [١] فقد تبيّن أن الشفاه تكون منفرجة أو مضمومة أو محايدة.

فيشير علم الأصوات إلى أننا عندما ننطق بالكسرة، فإن الجزء الأمامي من اللسان يرتفع تجاه الغار دون أن يؤدي هذا الارتفاع إلى إعاقة في مجرى الهواء الصادر من الرئتين. وتكون الشفتان عندئذ في حالة انفراج، وتراجع نحو الخلف[٢].

وعند نطقنا الفتحة، تكون أعلى نقطة من اللسان أمامية، وبعيدة عن الغار، والفم مع هذه الحركة يكون مفتوحًا بنسبة أكبر من نسبة فتحه مع حركة الكسرة[٣]، والشفتان تأخذان مع هذه الحركة وضع الحياد التام[٤].

أما حركة الضمة، فعند النطق بها، فإنّ مؤخر اللسان يرتفع نحو منطقة الطبق إلى أقصى درجة ممكنة، والشفتان تتخذان وضع استدارة كاملة[٥] مع بقاء فرجة بينهما.

وبناء على هذا وصف علماء الأصوات[٦]:

---

(١) (مدوّر أو غير مدوّر).

(٢) النوري، محمد جواد: **فصول في علم الأصوات**، ط١، مطبعة النصر التجارية، نابلس، ١٩٩١، ص٢٥٠.

(٣) **المصدر السابق**، ص٢٥٢.

(٤) الأنطاكي، محمد، **المحيط**، ج١، ص٣٨.

(٥) النوري، محمد جواد: **فصول في علم الأصوات**، ص٢٥٤، وانظر: الأنطاكي، محمد: **المحيط**، ج١، ص٣٦.

أريد أن أشير هنا إلى أن الأزهري في حديثه عن الهمزة، أشار إلى المواضع النطقية للحركات القصيرة والطويلة، يقول: "والياء والواو والألف اللينة منوطات بها، ومدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين. انظر: الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م): **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي النجار، دار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج١، ص٥١. فمدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس؛ أي أن التعديل للهواء المنطلق مع القناة الصوتية يتمثل في وضعية الجزء قبل الأمامي من اللسان، وحيث ترتفع هذه الجزئية وينخفض مقدمه للأسفل مع انزلاق الحنك الأسفل، وبهذا التعديل تنتج صوت الكسرة فتوصف بأنها أمامية ضيقة، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين، لأن الهواء المتعلق مع القناة الصوتية يتعرض للتعديل في منطقة الشفتين بتدويرهما بوضعية رخوة تميل في تدويرها إلى الأفقية بالنسبة لوضع الوجه، وبهذا التعديل ينتج صوت الضمة".

(٦) بشر، كمال: **علم اللغة العام**، ص١٤٣.

أو نستطيع أن نصفها هكذا:

الكسرة: أمامية، مغلقة، غير مدوّرة

الفتحة: أمامية، مفتوحة، غير مدوّرة

الضمة: خلفية، مغلقة، مدوّرة.

أمامية (من حيث وضع اللسان)، مغلقة (من حيث درجة ارتقاء اللسان)، غير مدورة (من حيث وضع الشفتين).

انظر: استيتية، سمير: ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات، **أبحاث اليرموك**، م٦، ع١، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ص٦٦، ٦٨، وانظر: استيتية، سمير: الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية، **مجلة البلقاء للبحوث والدراسات**، م٢، ع١، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ص١٣٩، ١٤٠.

الكسرة: حركة أمامية، ضيقة، منبسطة، مثل الكسرة في (سِر).

الفتحة: حركة أمامية، متسعة، منبسطة، مثل الفتحة في (هَب).

الضمة: حركة خلفية، ضيقة، مضمومة، مثل الضمة في (قُم).

والشيء نفسه يقال عن الحركات الطويلة[1].

الياء: أمامية، ضيقة، منبسطة، مثل ياء المد في (سيرة).

الواو: خلفية، ضيقة، مضمومة، مثل واو المد في (نور).

ألف: أمامية، متسعة، منبسطة، مثل الألف في (باب) [2].

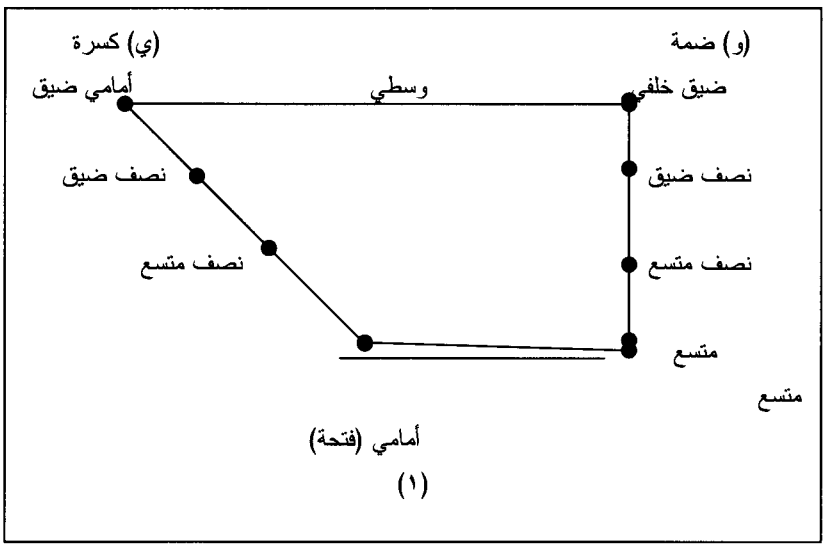

(١)

(١) الخولي، محمد علي: **الأصوات اللغوية**، ط١، مكتبة الخريجي، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٥٠-٥٥.

(٢) ذكرنا سابقًا أنّ الحركات القصيرة والطويلة لا تختلف إلا في الطول (الكمية) فقط والألف أمدهنّ صوتاً والياء أصغر مدة من الألف، والواو تتوسطهما. وذلك لأنّ الألف حرف مُستَعلٍ والياء حرف منخفض والواو حرف متوسط بين الاستعلاء والانخفاض. لكن بعض العلماء المحدثين رأى أنها تختلف في مواضعها أيضًا: فسلمان العاني من خلال الفحص الفسيولوجي تبين له وجود اختلاف طفيف في مواضع النطق بين الواو والضمة، وبين الكسرة والياء، لكنه وجد اختلافا واضحًا بين موضع نطق الألف، وموضع نطق الفتحة. انظر: العاني، سلمان: **التشكيل الصوتي في اللغة العربية**، ص٤١، ٤٣.

أما كمال بشر فلا يرى هناك اختلافًا واضحًا في مواضع نطق الضمة الطويلة والقصيرة، وكذلك في مواضع الكسرة الطويلة والقصيرة. انظر: بشر، كمال: **علم اللغة العام**، ص٨٣.

لكن الغريب هنا أن بشرًا لم يذكر في حديثه هنا (الفتحة والألف) والفرق بينهما في مواضع النطق، فهل يعني إغفال ذكرهما موافقته لرأي سلمان العاني على وجود فرق واضح في مواضع النطق؟ وأحمد مختار عمر يرى أن هناك خلافًا في كيفية هذه المواضع، فموقع اللسان مع إحدى العليتين المتقابلتين مختلف قليلا. انظر: عمر، أحمد مختار: **دراسة الصوت اللغوي**، ص٢٨٢، ٢٨٣. كما يتضح من الرسم الآتي:

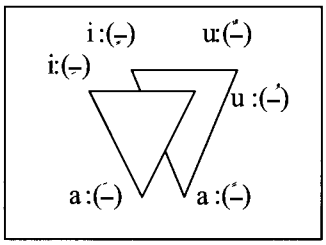

فمن الشكل السابق يتضح تراجع عضلات اللسان وانقباضها للخلف في نطق الحركات الطويلة وارتفاعه للأعلى أيضا. والذي يبدو واضحًا أن لا اختلاف في مواضع النطق بين الكسرة والياء: (الكسرة الطويلة)، وبين الضمة والواو: (الضمة الطويلة)، وبين الفتحة والألف (الفتحة الطويلة).

فالفتحة يبقى اللسان عند النطق بها طبيعياً، سوى ارتفاع طفيف جدًا[١] مع بقاء الشفتين في وضع الحياد التام. فهي بلا شك حركة بسيطة خفيفة لا كُلفة فيها، لم تتطلب بنا غير مجهود يسير، وبعض العلماء يشير إلى عدم فاعلية الأعضاء النطقية في إنتاجها[٢].

أما الكسرة: فاللفظ بها يتطلب مجهودًا أكبر؛ لأن مقدمة اللسان ترتفع إلى أقصى درجة ممكنة نحو مقدم الفم، مع تراجع الشفتين إلى الخلف، فهي عندئذ تحتاج إلى جهد عضلي عند النطق بها أكبر من ذلك الجهد المبذول في الفتحة[٣].

وهذا الجهد المبذول يزداد أكثر مع حركة (الضمة)؛ لأنها تحتاج إلى رفع مؤخر اللسان إلى أقصى درجة ممكنة نحو مؤخر الحنك الأعلى، وفي الوقت نفسه تتحرك الشفتان بمقدار أكبر منه في الكسرة، حيث تستديران استدارة كاملة مع الضمة، وتتراجعان إلى الخلف مع الكسرة. وهذا يجعل المجهود الذي بذل مع الضمة أكبر. يقول إبراهيم أنيس: "ولذلك فإن الجهد المبذول في تحرك أقصى اللسان أكبر من الجهد المبذول في تحرك أدناه، وتحرك أدناه أيسر من تحرك أقصاه[٤].

باختصار صفات الحركات وخصائصها:

١. حرية خروج الهواء خروجًا سلسًا غير مُزاحَم حال النطق بها، وهي أهم خاصة من خواص الحركات، فالحركة صوت يحدث في أثناء النطق به، بأن يمرّ الهواء حرًا طليقًا من الحلق والفم دون أن يقف في طريقه حاجز.
٢. الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة.
٣. الوضوح السمعي والصفاء: الحركات أوضح في السمع من الحروف فهي تختلف عن أصوات الحروف في أن فتحة الفم معها تكون أكبر مما هي مع الحروف لكن ليست كلُّ الصوائت ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي، بل تتفاوت في درجات الوضوح، فالفتحة أوضحُ من الكسرة والضمة، والألف أوضح من الياء والواو[٥].
٤. الفتحة أخف من الضمة والكسرة، كما أن الكسرة أخف من الضمة. والألف أخف من الواو والياء، كما أن الياء أخف من الواو[٦].

---

(١) الأنطاكي، محمد: **المحيط**، ج١، ص٣٨.

(٢) بركة، بسام: **علم الأصوات العام**، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٣١، ١٣٢، وانظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م): **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ، ج٢، ص١٣.

(٣) الفراء، **معاني القرآن**، ج٢، ص١٣.

(٤) أنيس، إبراهيم، **في اللهجات العربية**، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٦٥م، ص٩٦.

(٥) أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، ص ٢٦-٢٧.

(٦) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١، ص١٧٩، وانظر: ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م): **أسرار العربية**، تحقيق: فخر صالح قدارة، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٦٦، وانظر: سيبويه، **الكتاب**، ج٤، ص٢٨١، ٣٠٢، ٤٧٩، وانظر: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م): **المفصل في علم العربية**، ط٢، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص٣٧٨. وانظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م): **المنصف لكتاب التصريف للمازني**، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط١، إدارة إحياء التراث القديم، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج١، ص١٩٦.

ما يجري على الضمة و(الواو) يجري على الكسرة و(الياء) لأنّ كلا منها صوت لين ضيّق بخلاف الفتحة و(الألف)، فهما صوتان متّسعان. وأنّ الياء أقرب إلى الألف من الواو، لأن الواو تحتاج إلى إخراجها إلى تحريك الشفتين، والياء تحتاج إلى تحريك الشفة السفلى. وأن الألف منفردة في كثير من أحكامها عن الواو والياء؛ لأن الياء والواو أختان في الثقل(١).

٥. الحركات الطويلة تختلف عن الحركات القصيرة بالطول فحسب.

٦. الاستمرارية: قدرة الحركات الطويلة على الاستمرار والامتداد. والألف أمدهنّ صوتاً والياء أصغر مدة من الألف، والواو تتوسّطهما... (٢)

الحركات

دلالة الخفة والثقل

استند القدماء على صفات الحركات في التكلم عن دلالاتها في ألفاظها. "والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى: طولاً وقصرًا وخفة وثقلاً... وحركة وسكوناً"(٣). ومناسبة كل منها لمسمياتها معلوم بالحس(٤). و"أنهم في الغالب يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى، والفتحة الخفيفة للمعنى الخفيف والمتوسطة – يعني الحركة التي بين القوي والخفيف وهي الكسرة – للمتوسط"(٥).

فيقولون: عزَّ يعَز – بفتح العين – إذا صلب. وأرض عُزار: صلبة.

ويقولون: عَزّ يعِزّ – بكسرها – إذا امتنع، والممتنع فوق الصلب، فقد يكون الشيء صلباً ولا يمتنع على كاسره.

---

(١) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٩٢، وانظر: أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، ص ٤٠-٤١.

(٢) ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، ١٩٧٣، ص ٧٨.

للاطلاع على الاتجاهات المشتركة بين علماء الألفاظ والنحاة العرب وبين الألسنيين الغربيين في صفات الحركات ينظر الكتب والأبحاث التالية:

- بتي، أوديت: بحث في فونولوجيا اللغة العربية، **مجلة الفكر العربي**، السنة الأولى، ع ٨-٩، ١٩٧٩م، ص ١٧١-١٩١.
- الكوري، كونج إلجو: نظرية علم اللسانيات الحديث وتطبيقها على أصوات العربية، **مجلة اللسان العربي**، ع ٣٥، ١٩٩١، ص ٣٨-٤٧.
- فليش، هنري: التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ترجمة عبد الصبور شاهين، **مجلة مجمع اللغة العربية**، ج٢٣، ١٩٦٨، ص ٦٠-٧٩.
- كانتينو، جان: **دروس في علم أصوات العربية**، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦، ص ١٣٧-١٥٥.
- العطية، خليل إبراهيم: **في البحث الصوتي عند العرب**، منشورات دار الجاحظ، بغداد، العراق، ص ٤٧-٥٤.

(٣) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٨٩.

(٤) **المصدر السابق**، ج١، ص٨٩.

(٥) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م): **التفسير القيم**، جمعه المحقق: محمد الندوى، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص٢٠٦.

ثم يقولون: عَزّه يَعُزُّه – بضم العين – إذا غلبه. قال الله تعالى في قصة داود عليه السلام: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[١]، والغلبة أقوى من الامتناع، إذ قد يكون الشيء ممتنعًا في نفسه، متحصناً عن عدوه، ولا يغلب غيره، فالغالب أقوى من الممتنع، فأعطوه أقوى الحركات– الضمة – والصلب أضعف من الممتنع فأعطوه أضعف الحركات – الفتحة – والممتنع المتوسط بين المرتبتين حركة الوسط.

ونظير هذا قولهم: ذِبْح – بكسر أوله – للشيء المذبوح – وبفتح أوله – لنفس الفعل. ولا ريب أن الجسم أقوى من العرض فأعطوا الحركة القوية للقوي، والضعيفة للضعيف.

وهو مثل قولهم: (نَهَب، ونَهِب) بالكسر للمنهوب وبالفتح للفعل.

وكقولهم: (مَلْء، ومِلْء) – بالكسر – لما يملأ الشيء، وبالفتح للمصدر الذي هو الفعل.

وكقولهم: (حَمل، وحِمل) – فبالكسر – لما كان قوياً مثقلاً لحامله على ظهره أو رأسه، أو غيرهما من أعضائه، و(الحَمل) – بالفتح – لما كان خفيفاً غير مثقل، كحمل الحيوان وحمل الشجرة به أشبه، ففتحوه.

وتأمّل هذا في (الحِبّ والحُبّ) فجعلوا المكسور الأول لنفس المحبوب، ومضمومه للمصدر، إيذاناً بخفة المحبوب على قلوبهم، ولطف موقعه من أنفسهم وحلاوته عندهم، وثقل حمل الحب ولزومه، كما يلزم الغريم غريمه. ولهذا يسمى غراماً. ولهذا كثُر وصفهم تحمله بالشدة والصعوبة، وإخبارهم بأن أعظم المخلوقات وأشدها من الصخر والحديد ونحوهما لو حمله لذاب من حمله، ولم يستقل به، كما هو كثير في أشعار المتقدمين والمتأخرين وكلامهم. فكان الأحسن أن يعطوا المصدر هنا الحركة القوية، والمحبوب الحركة التي هي أخف منها.

فأعطوا المصدر هنا الحركة القوية – الضمة – والمحبوب الحركة التي هي أخف منها – الكسرة–"[٢].

ونبّه ابن القيم في سياق آخر: أن الضم أولى من الكسر لوجهين: أحدهما قوته وقوة الحب. والثاني أنّ في الضمة مع الجمع ما يوازي ما في معنى الحب من جمع الهمة والإرادة على المحبوب فكأنهم دلوا السامع بلفظه وحركته وقوته على معناه"[٣].

أما لماذا جاءت لفظة حُب بالضم دون الفتح؟ لقوة هذا المعنى وتمكّنه من نفس المحب وقهره وإذلاله إياه. حتى إنه ليذل الشجاع الذي لا يذل لأحد فينقهر لمحبوبه ويستأسر له كما هو معروف

---

(١) سورة ص، آية ٢٣.

(٢) انظر الأمثلة السابقة: ابن قيم الجوزية، **التفسير القيم**، ص٢٠٦–٢٠٧.

(٣) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٢٥٥.

في أشعارهم ونثرهم، وكما يدل عليه الوجود. فلما كان بهذه المثابة أعطوه أقوى الحركات وهي (الضمة). فإنّ حركة المحب أقوى الحركات. فأعطوا أقوى حركات المتحرك أقوى الحركات اللفظية ليتشاكل اللفظ[١] والمعنى.

ومن ذلك قولهم: الذِّل في الدابة – بكسر الذال – ضد الصعوبة، والذُل للإنسان – بضم الذال– وهو ضد العِز، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان، والكسرة للدابة، لأنّ ما يلحق الإنسان أكبر قدرًا مما يلحق الدابة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة[٢].

ومنه قولهم: جُمامُ المكّوك[٣] – بضم الجيم – دقيقًا، وجِمام القدح – بكسر الجيم – ماءً؛ وذلك لأنّ الماء لا يصح أن يعلو على رأس القدح كما يعلو الدقيق ونحوه على رأس المكّوك؛ فجعلوا الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفها فيما يقلّ بل يُعدم ارتفاعه[٤].

وقولهم: للسُّلَّم مِرقاة – بكسر الميم – وللدرجة مَرقاة – بفتح الميم –. فاللفظ نفسه (ر ق ي) يفيد معنى الارتقاء والرقي. وكسر الميم وفتحها يدلان على معنى الانتقال أو الثبات؛ أمّا كسر الميم يدل على أنها مما ينقل ويعمل عليه وبه: كالمِطرقة والمِئزر والمِنجل، وفتح الميم يدل على أنه مستقر في موضعه كالمَنارة والمَثابة[٥].

ويقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾[٦] "قال الزمخشري: فإن قلت: قد فرّقوا بين العِوَج بالكسر و العَوَج بالفتح، فقالوا: العِوج بالكسر في المعاني، والعَوج بالفتح في الأعيان والأرض. فكيف صحّ فيها المكسور العَيْن؟ قلت: اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون؛ وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فَسَوَّيْتَهَا وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية، لعثر فيها على عوج في غير موضع، ولا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي، فنفى الله عز وجل ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك اللهم إلا

---

(١) **المصدر السابق**، ج١، ص٢٥٥.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ/١٠٠٢م): **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق:علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الكتاب التاسع، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج٢، ص١٨.

(٣) المكوك: مكيال يسع صاعًا

جمامه: ما على رأسه فوق طفافة، أي ما ملا حروفه.

(٤) ابن جني، **المحتسب**، ج٢، ص١٩.

(٥) ابن جني، **الخصائص**، ج٣، ص١٠٢– ١٠٣.

(٦) سورة طه، آية ١٠٧. عوجا: مَيْلا، الأمْت: الصَدع.

بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة. وذلك الاعوجاج لمـــا لـــم يـــدرك إلا بالقيـــاس دون الإحساس: لحق بالمعاني فقيل فيه عِوَج بالكسر"[١].

وتقول العرب: مِفْتَح للآلة – بكسر الميم – التي يفتح بها، ومَفْتح – بفتح الميم – لموضع الفتح، ومِقَص لآلة القص، ومَقص للموضع الذي يكون فيه القص، ومِحْلَب للقدَح يُحلب فيه، ومَحْلَب للمكان يُحتَلب فيـــه ذواتُ اللَّبن[٢].

فجعلوا الكسرة لقوتها للفعل، وجعلوا الفتحة لضعفها لموضع الفعل.

ومن الألفاظ التي تنسجم حركتها القوية مع معناها القوي وحركتها الضعيفة مع معناها الضعيف، قولهم: السُّدّ: بضم السين ما كان من فِعل الله. والسَّدّ: بفتح السين ما كان من فِعل المخلوقين.

وقولهم: الوُضوء: بضم الواء: الفِعل. والوَضوء: بفتحها: الماء الذي يُتوضأ به.

وقولهم: الضُّعف: بالضم في الجسد. والضَّعْف: بالفتح في الرأي والعقل.

وقولهم: الرِّجس: بالكسر: العذاب. والرَّجس: بالفتح: الصوت الشديد. والرِّجس: بالكسر: القذر.

وقولهم: السَّجور: بفتح السين: الحطب. والسُّجور: بضم السين:إيقاد النار[٣].

وقولهم: السَّمع: بفتح السين: مصدر سمعتُ. والسِّمع: بكسر السين: الذِّكر: يقال ذهب سِمْعُهُ في الناس.

وقولهم: الرَّقُّ: بفتح الراء: ما يُكتب فيه. والرِّق: بكسر الراء: المِلْك.

وقولهم: الضُّر: بضم الضاد للهُزال وسوء الحال. والضَّر: بفتح الضاد ضد النّفع.

وقولهم: رُبْض الشيء: بضم الراء: وسطُه. ورَبَضه: بفتح الراء: نواصيه[٤].

ومنه قراءة مجاهد الأَشُر بضم الشين خفيفة في قوله تعالى: ﴿كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[٥]؛ لأن الضم أقوى معنـــى من الكسر[٦].

---

(١) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٥٤هـ/١٣٥٣م): **البحر المحيط في التفسير**، طبعة جديدة بعناية الشيخ زهير جعيـــد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٧، ص ٣٨٣-٣٨٤. وينظر: السيوطي، **المزهر**، ص١١٧. كل ما رأيته بعينـــك فهو عَوَج (بالفتح)، وما لم تر بعينك يقال فيه عِوَج بالكسر.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جـــاد المولى بك، محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ص٢٥٦.

(٣) انظر على التوالي: البطليوسي، عبد الله بن محمد بن السيد (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م): **الفرق بين الحروف الخمسة الظاء والضاد والذال والسين والصاد**. ط١، دراسة وتحقيق: عبد الله الناصير، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، بيـــروت، لبنـــان، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م، ص٣٨١، ٢٧٧، ٢٠٩، ٥٧٨-٥٧٩، ٥٧٨.

(٤) انظر على التوالي: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): **أدب الكاتب**، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ص ٣١١، ٣٢٤، ٣١٢، ٣٠٨. وانظر أمثلة أخرى: حسام الدين، كريم زكي، **الدلالة الصوتية دراسة لغويـــة لدلالـــة الصوت ودورة في التواصل**، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢م، ص١٧٦-١٨٢.

(٥) سورة القمر، آية ٢٦.

(٦) ابن جني، **المحتسب**، ج٢، ص٢٩٩.

الأَشُر: بضم الشين وتخفيف الراء من الأوصاف التي اعتقب عليها المثالان اللذان هما (**فَعِل وفَعُل**): (**أشِر وأشُر**)، و (**حَذِر وحَذُر**)، و (**يقِظ و يَقُظ**) و (**رجل حَدِث وحَدُث: حَسَن الحديث**).

ومنه قولهم: لُعَنَة – بفتح العين – للسيء الخُلُق إذا أكثر اللعْن، و لُعْنة – بتسكين العين – للجاسوس الخائن لأنه يُلْعَن من أبناء وطنه، وهُزَأَة وهُزْأَة، وسُخَرة وسُخْرة[١]. ومثله ضُحَكَة لكثير الضحك وضُحْكَة لمن يسخر منه الناس.

ثم تأمل قولهم: حلا الشيء في فمي يحلو، وحَلِي بعيني، فاختاروا البناء للفعل على (فَعَل) فيما كان لحاسّة الذوق؛ لتظهر فيه الواو، وعلى (فَعِل) في: حَلِي يَحْلى[٢] لتظهر الياء والألف، وهما خفيفتان ضعيفتان إلى الواو؛ لأن حِصّة الناظر أضعف مِن حِسّ الذوق بالفم[٣].

وقولهم: (غ ش ي) يلتقي معناها مع (غ ش و)، وذلك أن الغِشاوة على العين كالغَشْي على القلب، كل منهما يركب صاحبه ويتجلله، غير أنهم خصوا ما على العين بالواو، وما على القلب بالياء؛ من حيث كانت الواو أقوى لفظاً من الياء، وما يبدو للناظر من الغِشاوة على العَيْن أبدى للحس مما يخامر القلب، لأن ذلك غائب عن العين وإنما استدل عليه بشواهده لا بشاهده ومُعاينِه[٤].

وعلى ذِكْر طول الأصوات وقصرها لقوة المعاني المعبر بها عنها وضعفها؛ "ما يحكى أنّ رجلا ضرب ابناً له، فقالت له أمه: لا تضربه، ليس هو ابنك، فرافعها إلى القاضي. فقال:هذا ابني عندي، وهذه أمه تذكر أنه ليس مني. فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وإنما أخذ يضرب ابنه قلت له: لا تضربْه ليس هو ابنك، ومدّت فتحة النون جدًا، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا الطويـــــــــــل الطويـــــــــــل"[٥].

وقال سيبويه: "إنهم يقولون: سيـــــــر عليه ليل، يريدون ليل طويـــــــــل. وهذا إنما يُفْهم عنهم بتطويل الياء، فيقولون: سيـــــــر عليه ليل، فقامت المدة مقام الصفة"[٦].

وانظر كيف يدل تتابع الحركة في المصادر (فتحة، فتحة، (الألف وهي فتحتان) على تتابع حركة مسماها كقولهم: (دار، دَوَرانا) و(فارت القدر، فَوَرانا) و(غلت غَلَيانا) [٧]، فطابق اللفظ

(١) السيوطي، **المزهر**، ص٢٦٠.

(٢) حلي بعيني وقلبي أو حلا في الفم، وحلى بالعين.

(٣) ابن جني، **المحتسب**، ج٢، ص١٩.

(٤) **المصدر السابق**، ج٢، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٥) **المصدر السابق**، ج٢، ص٢١٠.

(٦) **المصدر السابق**، ج٢، ص٢٠٩.

(٧) ابن قيم الجوزية، **التفسير القيم**، ص٢٠٧، وانظر: الخطّابي، أبو سليمان حمد بن محمد (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م): **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ط٢، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ص١٨٦، وانظر: ابن جني، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ج٢، ص١٥٣.

المعنى. ويدل توالي الحركات على الحروف على توالي العمل نفسه دون إبطاء أو تـراخٍ. ويـدل كذلك على الحركة والخفة والإسراع[١].

ثم انظر كيف يدل تتابع حركة الفتحة على طول المعنى وامتداده، وكيف تدل حركة الضمة على قصر المعنى لضم الشفتين عند النطق بها وعدم امتدادهما، فسمّوا الطويل بـالعَشَنَّق لموالاتهم بين ثلاث فتحات فيه، وسموا القصير بـالبُحتُر وإتيانهم بضمتين بينهما سكون فيه. فانظر "كيف يقتضي اللفظ الأول: انفتاح الفم، وانفراج آلات النطق، وامتدادها، وعدم ركوب بعضها بعضًا وفـي اسـم البُحْتر الأمر بالضد"[٢]. فصار امتداد الصوت موازنًا لامتداد المعنى، وصار قصْر اللفـظ موازنًـا لقصر المعنى.

"ثم تأمل قولهم: طال الشيء، فهو طويل، وكَبُر فهو كبير فإذا زاد طوله وكبره قـالوا: طُـوالا وكُبارا. فأتوا بالألف التي هي أكثر مدا وأطول من الياء: في الأطول"[٣].

وكذلك الباب الذي صيغ على بناء الغضبان والظمآن والحيران ونحوه، الذي يتسع النطـق بـه ويمتلئ الفم بلفظه لامتلاء حامله من هذه المعاني؛ وكان الغضبان هو الممتلئ غضباً الذي قد اتـسع غضبه حتى ملأ قلبه وجوارحه، وكذلك بقيتها[٤].

"ولذلك كان في لفظها (ألف) لما في (الألف) من المد والاتساع في هواء الفم مـشاكلة لاتـساع معناها في الأجناس"[٥].

واستحق الاسم الشامل والصفة المشتملة على خصال عديدة لا خصلة واحدة كـالجمال والكمال والبهاء والسناء والجلال والعلاء[٦]، في هذا الباب اسم (الفَعال) بفتح الفاء والعين وبعدهما ألف وهي

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ/١٠٠٢م): **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علـي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنـة إحيـاء التـراث الإسـلامي، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ج١، ص١٣٧-١٣٨.

(٢) ابن قيم الجوزية، **التفسير القيم**، ص٢٠٨.

(٣) **المصدر السابق**، ص٢٠٨، وكذلك **خُفاف** من **خفيف**، و**قُلال** من **قليل**، و**سُراع** من **سـريع**. انظـر: ابـن جنـي، **الخـصائص**، ج٣، ص٢٧٠.

وإنْ كانت **فُعال** أبلغ في المعنى من أختها **فعيل** في باب الصفة، فإن **فعيلا أخص** بالباب من **فُعال**؛ ألا تراه أشد انقيادًا منه، تقول: **جميل** ولا تقول **جُمال**، و**بطيء** ولا تقول **بُطاء**، و**شديد** ولا تقول: **شُداد**. انظر: ابن جني، **الخصائص**، ج٣، ص٢٧١.

(٤) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٨٩.

(٥) **المصدر السابق**، ج١، ص١٠٨-١٠٩.

(٦) فإن اختص المعنى بخصلة واحدة صار كالمحدود ولزمته **تاء التأنيث** لأنها تدل على نهاية مادخلت عليه **كالضربة** من الضَّرْب. وإنما استحقت التاء ذلك لأن مخرجها منتهى الصوت وغايته فصلحت للغايات ولذلك قالوا: **علامة ونسّابة**: أي غاية في هذا الوصف. فالجمال والكمال كالجنس العام من حيث لم تكن فيه التاء المخصوصة بالتحديد والنهاية.

وقولك: مَلُح **مَلاحة**، فَصُح **فَصاحة**، لأن **الفَصاحة** خُصلة من خصال الكمال وكذلك **المَلاحة** فحُدّت بالتاء. انظر: ابن قيّم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٢٢٧.

فتح؛ ليكون اللفظ الذي يتوالى فيه الفتح موازنًا لانفتاح المعنى واتساعه، ولذلك اطرد في الجمع الكثير نحو (مفاعل) و(فعايل) وبابه، واطرد في باب (تفاعُل) نحو: تقاتُل وتخاصُم وتمارُض وتغافُل وتناوُم؛ لأنه إظهار الأمر ونشر له(١).

وأما دخول الحركة الطويلة الألف في (فاعل) و(فاعال) و(فاعول) ونحو ذلك؛ لتجعل الفعل من اثنين فصاعدًا، نحو ضارب وشاتم(٢).

وإذا كان الفعل عبارة عما هو طَبْع وخُصلة ثابتة نقلوه بضم العين، كشرُف وكرُم وأدُب فكان أثقل لفظًا من باب قَعَد ودَخَل "فما لزم مكانه ومحلّه فهو الثقيل لفظًا ومعنى"(٣).

ولما كان الفعل اللازم هو الذي لزم فاعله ولم يجاوزه إلى غيره جاء مصدره أثقل من مصدر الفعل المتعدي الذي تجاوز فاعله وانتقل عنه إلى غيره: كقولهم: (خرج: خُروج) و (قعد: قُعود) (توالي حركة الضمة الثقيلة مع الحركة الطويلة الثقيلة الواو). أما الفعل المتعدي (ضَرَب: ضَرْب) و(أَكَل: أَكْل) فالذي جاوز مكانه وتعداه فهو الخفيف لفظا ومعنى(٤).

ومن هذا الباب حلُم فوافق شرُف وكرُم وأدُب في الضم لأنه يدل على إثبات الصفة، وخالفه في المصدر لمخالفته له في المعنى. فمصدر شرُف: شرَف، وكرُم: كرَم، وأدُب: أدَب، ومصدر حلُم: حِلْم. وذلك لأنه صفة تقتضي كف النفس وجمعها عن الانتقام والمعاقبة، ولا يقتضي انفتاحا ولا انتشارا كالذي تشير إليه تتابع الفتحة في المصدر شَرَف وكرَم وأدَب.

ومن هذا الباب كبُر و صغُر موافق لما قبله في الفعل، مخالف له في المصدر؛ لأن الكِبْر والصِغْر عبارة عن اجتماع أجزاء الحمم في قلة أو كثرة، وليس من الصفات والأحداث المنتشرة(٥).

ولعل معنى الانفتاح والانتشار الذي تشير إليه الفتحة هو الذي جعل الشاعر حسان ينتقي لفظتي (الجَفَنات وأسياف) دون (الجِفان والسيوف).

يقول ابن جني: "كان أبو علي ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره، وأنه لما صار إلى قوله:

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحا(٦) وأسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَما

(١) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٢٢٨.

(٢) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٢٣٥.

(٣) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٢٢٧.

(٤) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٢٢٧.

(٥) **المصدر السابق**، ج١، ص٢٢٨.

(٦) يلمعن بالضحا: يريد بياض الشحم.

فقال له النابغة: لقد قلّلت جفانك وسيوفك. قال أبو علي: هذا خبر مجهول لا أصل لـــه، لأن الله تعالى يقـــول: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آَمِنُونَ﴾[١]، ولا يجوز أن تكون الغرف كلها التي في الجنة من الثلاث إلى العشر... وعذر ذلك عندي أنه قد كَثُر عنهم وقوع الواحد على معنى الجميع"[٢].

ولا نرى لهاتين اللفظتين دورًا خاصًا سوى أنهما تجلبان النظر إلى سياقهما ومقامهما عن طريق إيقاع أصوات حركاتهما، فهما شاركا في نقل الصورة التي يريدها الشاعر، فرفعا القيمـــة الدلاليـــة والجمالية إلى مستوى لم يكن للكلام أن يبلُغَه لو انتقى لفظتا (جفِان وسيوف).

فانظر الأثر الذي يتركه تتابع حركة الفتحة في جَفَنات (فتحة، فتحة، والألف عبارة عن فتحتين) والأثر الذي تتركه حركة الألف الطويلة ذات الوضوح السمعي العالي في أسياف. فنقول: إنّ تتـــابع الفتحة يشعرك بكثرة الطهو لكثرة الضيوف، واستمرار هذا الطهو أطول فترة زمنية ممكنة بـــسبب توافد الضيوف لما في الألف من المد، والاتساع في هواء الفم فالألف أطول الحركات الطويلة مدّاً. ويُشعرك تتابعها بالخفة والحركة والسرعة وتوالي الفعل دون تراخ أو إبطاء. وهذا لا نجده في لفظ جِفان خاصة أن الكسرة فيها تدل على الخفض والخفاء والصغر لأنّ الشفة السفلى تنخفض إلى أسفل عند التلفظ بها.

وأيضًا قوله أسياف؛ فالألف صوت يدل على امتداد وانفتاح وانتشار مُنْتَهٍ باستقامة، وهذا يُشعرك بحركة الأسياف التي لا تتوقف عن القتال في ساحة المعركة وأنها مستمرة بعملها في أحسن فاعلية دون إبطاء. وهذا ما لا نجده في لفظ سيوف حيث تشير الواو إلى الضم والجمـــع وكـــفّ العمـــل وتوقفه.

ولعلّ نظير هذا قول العرب: جَنّة (بفتح الجيم) لامتداد أشجارها وانتشارها وانبساطها على طول البصر.

وجُنة (بضم الجيم) لما يقي الإنسان من السهام والسلاح فلاءم هذا المعنى الضمة التـــي تحتـــاج إلى ضم الشفتين وجمعهما عند النطق بها.

وقولهم: أرض بُساط (بضم السين): الذي يُجلس عليه وأرض بَساط (بفـــتح الـــسين): واســـعة مبسوطة.

---

(١) سورة سبأ، آية ٣٧.

(٢) ابن جني، **المحتسب**، ج١، ص١٨٧-١٨٨.

ولما كان في الواو من الضم والجمع ما ليس في غيرها خصّوها بالدلالة على الجمع دون الألف وكانت الألف أولى بضمير الاثنين لقرب التثنية من الواحد(١).

ورُبّما لأن الضمة حركة تضم لها الشفتان وتتدوران جاء رسم الضمة (ـُـ). ولأن الفتحة حركة ينفتح لها الفم ويتسع ويبسط جاء رسمها (ـَـ). ولأن الكسرة حركة ينكسر لها المخرج، ويهوي إلى أسفل جاء رسمها أسفل الحرف (ـِـ) ولم يتفق مع رسم الضمة لأن الشفتين عندئذ في حالة انفراج وتراجع نحو الخلف. فيبقى الفم مع حركة الكسرة مفتوحًا كَفَتْحِه مع حركة الفتحة لكن بنسبة أقل.

وانظر إلى لفظة (رحمن) الدنيا والآخرة؛ حيث اقترن بالحركة الطويلة الألف التي تجعله أبلغ وأليق بمعناه، وكذلك لفظة (رحيم) اقترنت بالحركة الطويلة الياء التي تناسب معناها. فالرحمة المستفادة من (رحمن) أعم من الرحمة المستفادة من (رحيم) أو أنّ (الرحمن) يراد به مجموع الرحمتين، فيكون مدلول (الرحيم) بعض مدلول (الرحمن) فيكونان كُلاّ وجزءاً. فالألف بامتدادها وانتشارها وانبساطها وانفتاح فكي الضم عند نطقها لاءم معنى (الرحمن) ولاءمت الياء معنى (الرحيم) لانفتاح الفم مع حركة الكسرة أيضا لكن بدرجة أقل.

ثم انظر كيف أن أكثر الأدواء والأوجاع في كلام العرب على وزن (فُعال) كالصُداع، والسُّعال والزُّكام، والسُّلال، والكُزاز والخُناق والدُّوار والهُيام(٢)، فلاءمت قوة الضمة شدة المرض وألمه في النفوس، ثم إن ضم الشفتين عند نطق الضمة لاءم ضمّ الجسم وانكماشه بسبب المرض.

والعرب تحتاج إلى الحركات للفرق بين تاء المتكلم (تُ) وتاء المخاطب المذكر (تَ) وتاء المخاطب المؤنث (تِ) فقالوا: "الأصل في التاء للمخاطب، وإنما المتكلم دخيل عليه، ولما كان دخيلا عليه خصّوه بالضم؛ لأن فيه من الجمع والإشارة إلى نفسه ما ليس في الفتحة. وخصوا المخاطب بالفتح؛ لأن في الفتحة من الإشارة إليه ما ليس في الضمة. وهذا معلوم بالحس"(٣).

---

(١) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٩١. وتفسير آخر: ليميّز العرب بين علامة رفع المثنى ورفع الجمع أعطوا (الأقل عددا): المثنى **أخف الحركات (الألف)** وأعطوا (الأكثر عددًا): الجمع **أثقل الحركات (الواو)** وبقي النصب لاحرف له فيماز به جذبوه إلى الجر وحملوه عليه دون الرفع لقرب الياء من الألف وبعد الواو عنها. ثم لما صاروا إلى جمع المؤنث السالم حملوا النصب أيضا على الجر فقالوا: ضربت الهندات كما قالوا: مررت بالهنداتِ. مع أنهم قادرين على أن **يفتحوا التاء** فلم يفعلوا. انظر: ابن جني، **الخصائص**، ط٤، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ج١، ص١١٢.

(٢) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م): **فقه اللغة وأسرار العربية**، ط١، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٦٥.

(٣) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص١٤٦، انظر: ابن جني، **المحتسب**، ج١، ص٣٠٣.

وكانت الكسرة للمخاطب المؤنث أولى لخفضها وضَعْف المؤنث[١]. وذهب بعضهم في (ضمة) تاء المتكلم إنما بُنِيَت على الضم؛ لأنها أقوى من تاء المذكر والمؤنث في نحو قمتَ قمتِ فكانت لذلك أحق بذلك[٢].

أما ضمير المتكلم المخفوض فإنما كان (ياء) لأنها أولى الحروف بذلك، وذلك لأنهم؛ "أرادوا علامة تختص بكل متكلم في حال الخفض، والأسماء مختلفة الألفاظ متفقة في حالة الإضافة إلى الياء في الكسرة التي هي علامة الخفض، إلا أن الكسرة لا تستقل بنفسها حتى تمكن فتكون (ياء)، فجعلوا (الياء) علامة لكل متكلم مخفوض"[٣].

ثم تأمل (الكسرة) في عين الأفعال (فزِع، مرِض، حذِر، حزِن، جزِع، عوِر، سقِم...) إلى غير ذلك مما له أثر من باطن الفاعل وغموض المعنى؛ "لأن الكسرة خفض للصوت وإخفاء له فشاكل اللفظ المعنى"[٤]. "ومن هذا الباب لَبِس الثوب وألبسته إياه؛ لأن الفعل وإن كان متعديًا فحاصل معناه في نفس الفاعل كأنه لم يفعل بالثوب شيئاً وإنما فعل بلابسه"[٥].

ثم تأمل العلاقة بين توالي الحركات في اللفظة وتواليها في الحدث؛ فيقدّم ما يضاهي أوّل الحدث، ويؤخّر ما يضاهي آخره، ويوسّط ما يضاهي أوسطه.

من ذلك لفظة مُسْتَشْزِراتٌ في قول امرئ القيس: (مُسْ تَشْ زِ را تُنْ)

غَدائِرُهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلا تضِلّ المَدارى في مُثَنًّى ومُرْسَلِ[٦]

يصف امرؤ القيس في هذا البيت خصلات الشعر وارتفاعها والمستشزَرات روي بفتح الزاي: أي مرفوعات، وبكسرها أي: مرتفعات[٧].

فلعلّ الضمة التي تبدأ اللفظة بها تُشْعِرك منذ البدء بالثقل والضم والجمع لخصلات الشعر وتوثيقها وتغليظها. لهذا نجد تعثّر المشط أكثر من مرة وعدم تحركه وهذا يحاكيه الوقف على السين الساكنة. أما الفتحة على التاء فتحاكي امتداد هذه الخصلات وانبساطها وسرعة هذا الامتداد وخفته. والوقف على الشين يحاكي تعثر المشط مرة أخرى بسبب ازدياد ارتفاع خصلات الشعر وتكثفها. أما الكسرة على الزاي فتحاكي خفاء المشط داخل الشعر لتراكمه وثقل حركته. أما قراءتها بفتح الزاي فيحاكي توالي امتداد الخصلات وارتفاعها واتساعها وانبساطها.

---

(١) والقول نفسه يقال في الألفاظ التي شركوا المؤنث مع المذكر فيها كما في قولهم: (لكَ) و (لكِ) و (هذا) و (هذه) و (ذلك) و (تلك). شرحنا سابقا في بحث أصوات الحروف دراسة مقامية براغماتية: لِمَ خصّوا **المخاطب المؤنث بالتاء ولم يكتفوا بالذال المكسورة (ذِلك) في مخاطبتها**.

(٢) ابن جني، **المحتسب**، ج١، ص٣٠٣.

(٣) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص١٤٦.

(٤) **المصدر السابق**، ج١، ص٢٣٠.

(٥) **المصدر السابق**، ج١، ص٢٣٠.

(٦) انظر كتابنا: القيم الدلالية والجمالية للحروف في العربية، عود على بدء وعلاقة أصوات حروف "**مستشزرات**" بمعناها.

(٧) السبكي، بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ/١٣٧١م): **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج١، ص٥٩.

والحركة الطويلة (الألف) تحاكي ارتفاع خصلات الشعر أطول فترة زمنية ممكنة لأن (الألف) أكثر الحركات مدّا وتشير إلى الفعالية والاستمرار. وأخيرًا تشير الضمة على التاء على تعقد الشعر لكثافته وتشير النون الساكنة على توقف المشط عن الحركة داخله.

ومن ذلك قول أبي علقمة النحوي عندما سقط عن دابته[1] فاجتمع الناس عليه، فقال: مالكم تكأكأتُم علي كتَكَأْكُئِكُم على ذي جنّة؟ افْرَنْقِعوا عني.

فتوالي حركات الفتح في تَكَأْكَأْتُم يحاكي امتداد الناس عليه من كل صَوْب واتجاه.

فتشير الفتحة على التاء بامتداد الناس عليه منذ لحظة سقوطه، والفتحة على الكاف تشير إلى تتابع هذا الامتداد واتساعه، أما السكون على الهمزة الحنجرية فيحاكي ثقل الناس عليه وشعوره بالضيق بسبب هذا الازدحام، وتكرير الفتحة على الكاف يحاكي استمرار امتداد الناس على أبي علقمة واندفاعهم نحوه.

وتكرير السكون على الهمزة يحاكي ازدياد ثقل الناس عليه وازدحامهم وازدياد ضيقه منهم، أما الضمة على التاء فتحاكي تجمُّع الناس واستدارتهم وإغلاق الدائرة عليه بإحكام، ويساند هذا الاغلاق المحكم وهذه الاستدارة السكون على الميم الشفوية.

ويأتي توالي الحركات في (ء فْ رَ نْ قِ عوا) وفقا لترتيب معناها؛ فتحاكي الكسرة على الهمزة الحنجرية ثقل الناس وازدحامهم عليه، بينما السكون على الفاء الضعيفة تزيد من ضعفها الذي يحاكي ضعف أبي علقمة بسبب سقوطه. وهذان الصوتان يحاكيان تأفّفه من الناس الذين تجمعوا حوله.

وتشير الفتحة على الراء إلى استعادة وعيه بشكل أكبر لما في الفتحة من الاتساع في هواء الفم، والنون الساكنة تحكي نغمتها نغمة أنينه الناتج عن أَلَمْ وقعته الذي بدأ يحس به شيئا فشيئا. والكسرة الثقيلة على القاف تحاكي الثقل الذي يحسه بسبب ازدحام الناس عليه.

أما الحركة الطويلة الثقيلة (الواو) المجاورة لصوت العين الحلقي فتشير إلى زيادة هذا الثقل وتتابعه واستمراره إلى درجة الاختناق. فتتابع الحركات الثقيلة: الكسرة والحركة الطويلة (الواو) عبّر عن ثقل الازدحام عليه لهذا كان لا بد من ابتعادهم بأسرع وقت ممكن.

---

(١) وفي رواية أخرى: ثار به المرار.

المرار: مزاج غلبة المرة: مزاج من أمزجة البدن

تكأكأتم: تجمعتم

افرنقعوا: ابتعدوا

الجِنة: الجنون

انظر: ابن جني، **المحتسب**، ج٢، ص١٩٣، وانظر: ابن سنان الخفاجي، عبد الله بن محمد (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٤م): **سر الفصاحة**. صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م، ص٧٠. وانظر: كتابنا: القيم الدلالية والجمالية للحروف في العربية، عود على بدء، وعلاقة أصوات اللفظتين بالمعنى.

ولعلّ من ترتيب الحركات وفقا لترتيب معنى اللفظة صيغة فَعِلَة: وهذا ما توصف به اليد عند لمسها كل صنف من الملموسات وكُلُّه على وزن:

فَعِلَة

بفتح الفاء وكسر العين[١]حتى إنّ المرء ليكاد يحس ما تشير إليه الحركات فنقول يدي:

- من اللحم: غَمِرة
- ومن السمك: صَمِرة
- ومن العسل: سَعِبة
- ومن الماء: بَلِلَةٌ
- ومن الحطب: قَشِبة
- ومن الرياحين: ذَكِية
- ومن جميع الطيب: عَبِقة
- ومن الجبن: نَسِمة
- ومن الفاكهة: زَلِجة
- ومن الخل: خَلِلَة

فربما وضْع اليد على الشيء الملموس وامتدادها عليه يقابل امتداد الفتحة وانبساطها، ثم إنّ تحسّس الأشياء لا يحتاج إلى قوة فجاؤوا بالفتحة الخفيفة في أول البناء دون أختيها.

وأما خفاء الكسرة وانخفاضها إلى أسفل جاء يحاكي الأحاسيس والمشاعر التي تعترينا لحظة تلمسنا هذه الأشياء، وقوة الكسرة جاءت تحاكي قوة الأحاسيس في دواخلنا.

ثم انتبه إلى الألفاظ التي أوائلها مفتوح وأوائل أضدادها مكسور (حَرْب، سِلْم)، (فَقْر، غِنى)، (جَهْل، عِلْم)، (جَدْب، خِصْب) [٢]، كيف جاءت قوة الكسرة وخفة الفتحة تحاكيان معاني ألفاظهما. ثم انظر كيف أن انتشار هذه المعاني وامتدادها في أي عصر (حَرْب، فَقْر، جَهْل، جَدْب)، جاء يناسب امتداد الفتحة وانبساطها.

رأي المحدثين العرب:

أشار المحدثون إلى معاني الحركات، واعتمدوا خصائصها النطقية والفيزيائية للدلالة عليها، فرأوا أنّ الحركة على اختلاف أنواعها تتراوح بين الفاعلية والمفعولية والإضافة؛ أي حركات مرجعها الفاعلية وحركات مرجعها المفعولية وأخرى مرجعها الإضافة.

---

(١) السيوطي، **المزهر**، ص٣٣٣-٣٣٤.

(٢) السيوطي، **المزهر**، ص٦٤٥.

والفاعلية من آثار القوة، والمفعولية من آثار الضعف والانقسام؛ وذلك لأنّ الفاعل عند قيامه فعلاً ما يستجمع قواه ويضمها، فإذا أراد مثلا أن يخيف شخصاً أو يضربه صرّ على أسنانه وضمّ شفتيه وضخّم صوته وانهال ضربا على المضروب أو بدأ بإخافته(١).

لهذا إذا لحقت الضمة بلفظة دلّت على قوتها؛ لأن المتكلم يتكلّف في اخراج الضمة تحريك الشفتين وضمهما.

بينما المضروب "تتضعضع قواه تحت ضرب الضارب فيفتح فاه ويرسل الآهات تأوّهاً وتوجّعاً"(٢)، وهذا يحاكي حركة الفتح.

والفتحة حركة خفيفة لاتحتاج إلى جهد عضلي لإخراجها؛ لهذا نجدها أكثر انتشارًا في كلام العرب من الضمة، فنجدها مع المنصوبات: المفاعيل الخمسة (المفعول به، المفعول معه، المفعول لأجله، المفعول فيه، المفعول المطلق) والمستثنى والحال والتمييز وخبر كان وأخواتها واسم إنّ وأخواتها.

أما الضمة القوية فنجدها مع المرفوعات: المبتدأ والفاعل ونائبه واسم كان وأخواتها وخبر إنّ وأخواتها.

ولعلّ العرب قدمت الأثقل (المبتدأ والفاعل) وأخرت الأخف (المفعول به) في كلامها "من قِبل أنّ المتكلم في أول نطقه أقوى نفسا وأظهر نشاطًا"(٣).

أما الكسرة ومرجعها الإضافة فتشير إلى ارتباط بين كلمتين- بإضافة شيء إلى شيء آخر أو نسبة شيء إلى شيء آخر -؛ وهذه الحركة مأخوذة من ضمير المتكلم المفرد (ي) في نحو قولنا (كتابي)، فالياء هنا – مخرجها اللثة مع ميلة الفك السفلي نحو صدر المتكلم – تشير إلى إضافة الكتاب إلى القائل (كتابي) أي كتاب أنا(٤).

من هذه الياء جعلت حركة الإضافة: الكسرة – لمجانستها الياء – وإشعارًا بملكية الكتاب، أو نسبة إلى القائل كتابي(٥).

وجُعلت الكسرة: حركة الجر لارتباط أدوات الجر بمجروريها. ولهذا جاءت لام الأمر مكسورة(٦).

---

(١) ابن البستاني: **مخطوط**: "**مقدمة علم المباني**"، ضمن **كتاب أسرار لغوية**، ملحم إبراهيم البستاني، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) **المصدر السابق**، ص١٠٦.

(٣) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٥٦.

(٤) ابن البستاني: **مخطوط**: "**مقدمة علم المباني**"، ضمن كتاب **أسرار لغوية**، ملحم إبراهيم البستاني، ص١٠٦.

(٥) **المصدر السابق**، ص١٠٧.

(٦) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٧٢.

ولعل هذا يفسر عمل القدماء عندما فرقوا بين المعاني في بعض ما يجوز فيه الوجهان من القول[١]، فقالوا: "ينفُر (بالضم) من النِّفار والاشمئزاز، وينفِر (بالكسر) من نفْر الحُجاج من عرفات"[٢].

فاختاروا الكسرة لنفير الحجاج للعلاقة التي تربط الإنسان بهذا المكان. ثم إنّ طريقة نفير الحجاج ونزولهم من جبل عرفات يحاكي طريقة نطق الكسرة واتجاه الشفة السفلى إلى أسفل.

ومن المحدثين من أشار إلى معاني الحركات عندما رأى أنّ بعض الأفعال التي تحتاج إلى قوة جاء أجوفها (واوا) كقولنا: (يقول، يجول، يعول، يصول، يفوز، يقود، يعود، يثور).

والأفعال التي تدل على ضعف جاء أجوفها (ألفا) كقولنا: (يخاف، ينام، يغار، يعاب، ينال، يحار).

والأفعال التي تدل على علاقة بين اثنين وأحيانا تشير إلى "تساوٍ في المستوى بين الطرفين" كقولنا: (يبيع، يشير، يريد، يدير، يميل، يعير، يجيد، يغير) [٣].

ورأى أن الحركات الطويلة (و، ا، ي) في مثل تلك الأفعال تعبر عن الاستمرار؛ فالأفعال: (يقول، يجول، ينام، يبيع...) كلها تتطلب استمرارًا إلى حد ما، وعلى العكس من ذلك نجد الأفعال مثل: (تَصل، تَقف، يُقرر، يُعلن...) ليست فيها حركة طويلة؛ لأن أداءها لا يستمر طويلاً كالأفعال السابقة التي أجوفها حركة طويلة "ومن هنا نجد مماثلة بين الاستمرار في الأداء وطول الحركة في النطق"[٤].

وإذا سبق الفعل الأجوف ذا الحركة الطويلة أداةٌ من أدوات الجزم "فإن هذه الحركة الطويلة تحذف؛ لأنه لم يحدث فعل وبالتالي لم يكن هناك استمرار فعندما نقول: لم ينم؛ فإن الفعل لم يقع، وبالتالي ليست هناك حاجة إلى وجود حركة طويلة تعبر عن استمرارية الفعل. وكذلك الحال بالنسبة للأفعال الأخرى ذات الاستمرارية في الأداء مثل: يجري، يهوى، يعدو، يتلو، يرمي، يعود وغيرها، كلها تفقد حركة الاستمرارية، أو الحركة الطويلة إذا سبقتها أداة من أدوات الجزم"[٥].

ومنهم من رأى أن الحركات الطويلة (ا، و، ي) اقتصرت خصائصها فقط على نقل الأبعاد الثلاثة في الطبيعة (فوق، وأمام، وتحت)، فلا يوجد موحيات حسية أو شعورية أخرى في

---

(١) جوّز القدماء في مستقبل الفعل الماضي المفتوح العين ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ولا الحلق: (**يفعُل**) بضم العين و(**يفعِل**) بكسرها. وليس فيه عند العرب إلا الاستحسان، "فما جاء واستُعْمِل فيه الوجهان قولهم: **نفر: ينفُر وينفِر. وشتم: يشتُم ويشتِم**، فهذا يدل على جواز الوجهين فيهما، وأنهما شيء واحد لأن الضمة أخت الكسرة في الثقل". انظر: السيوطي، **المزهر**، ص١٧٠.

(٢) السيوطي، **المزهر**، ص١٧١.

(٣) محمدين، محمد محمود: **رأي في تسمية الحركات العربية وأسباب هذه الحركة، اللسان العربي**، مجلد ١٨، ج١، ١٩٨٠، ص١٦٨.

(٤) **المصدر السابق**، ص١٦٨.

(٥) محمدين، محمد محمود: **رأي في تسمية الحركات العربية وأسباب هذه الحركة**، ص١٦٨.

أصواتها[١]. فـالألف يخرج صوتها من جوف الفم مع حركة انفتاح الفكّين وارتفاع الـرأس إلـى أعلى، فيوحي صوتها بالامتداد إلى أعلى. لهذا جعلها الواضع في نهاية (أنا)، لمنح شخصية المتكلم مزيداً من السمو والرفعة في مخاطبة المخاطب (أنت)، وجعلها في نهاية (إلى) لمنح الحدث المتعلق بها فسحة المكان والزمان. فيقال: (ذهبت إلى البيت) ولا يقال: (ذهبت للبيت) لأن (اللام) للالتصاق فلا فسحة معها لحدث الذهاب في المكان ولا في الزمان. لهذا نقول: وقفت منه وجهـا لوجـه، ولا نقول: (وجهًا إلى وجه) [٢].

وصوت الياء في جوف الفم المترافق مع حركة الفك السفلي والرأس إلى تحت باتجاه الـصدر، يحاكي حفرة عميقة في الطبيعة. وأفاد العربي من خاصية الحفرة في صوتها وجعلهـا فـي نهايـة الحرف (في) للاحتواء، وفي صيغ التصغير وكأن الأسماء المصغرة قد وقعت في حفرة. كما جعلها علامة نصب جمع المذكر السالم والمثنى ليتحملا في هذا المكان الخفيض الذي استقرا فيـه وقـع الاعتداء عليهما. ولما كانت حركة الفك السفلي التي ترافق صوت (الياء) تشير إلى الـذات ألحقهـا الواضع مشددة بالأسماء المنسوبة، وجعلها في صيغة (فعيل)، إما لرسوخ الحالـة المعنيـة فـي ذات صاحبها (عليم، حكيم) وإما بمعنى المفعول (قتيل) [٣].

وأما صوت (الواو) فيحصل بتدافع النفس في جوف الفم مع انضمام الشفتين على شكل حلقة ضيقة، تسمح بمروره إلى خارج الفم. يترافق صوتها مع حركة اندفاع الفكين والرأس إلـى الأمـام. وهـذه الطريقة في النطق تشير إلى الفعالية والاستمرار لهذا جعلها العربي في صيغة (فعول)، وعلامة رفـع جمع المذكر السالم إذا كان فاعلا أو مبتدأ للفعالية[٤].

وآخر يرى الحركات الطويلة تمنح المتلقي إدراكات أخرى أعمق وأكمل[٥]، "تكتسب أهمية دورها من السياق نفسه ولا سيما الأصوات التي تسبقها، فهي إشباع وامتداد لقيمة الصوت الدلالية، هذا فضلاً عما تتصف به من قوة الإسماع التي تلازم طولها"[٦]. وبأن شعرنا المعاصر حافل بتوظيف الحركـات الطوال في حَمْل المشاعر الممتدة والأحاسيس العميقة، لا سيما في مجال الحزن[٧].

---

(١) عباس، حسن: الحركات الإيمائية في الحروف الغابية، **اللسان العربي**، ع٣٣، ١٩٨٩م، ص٨٩.

(٢) **المصدر السابق**، ص٨٨.

(٣) **المصدر السابق**، ص٨٨-٨٩.

(٤) **المصدر السابق**، ص٨٨.

(٥) سلوم، تامر: **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي**، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ١٩٨٣م، ص٤٦.

(٦) السعدني، مصطفى: **المدخل اللغوي في نقد الشعر قراءة بنيوية**، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٧م، ص٩٢.

(٧) السعدني، مصطفى: **البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث**، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص٣٧.

أما الحركة القصيرة الفتحة فتشير إلى معنى الاستقرار؛ وذلك لأن صوتها في نهاية الكلمة يلفظ بأخفض نبرة، مما يجردها من كل فعالية، وتشير الضمة إلى الفعالية، أما الكسرة فتشير إلى الامتلاك والاحتواء والنسبة(١).

وإنّ أبرع استعمال للحركات القصيرة يظهر في تحريك عين الفعل الثلاثي؛ فبعض الأفعال التي جاءت عينها مضمومة عبرت عن الفعاليات المنبثقة من الذات كما في أدُب، شرُف، نبُه.. والأفعال التي جاءت عينها مكسورة عبرت عن حالات وصفات ذاتية كما في أسِف، حزِن، حقِد(٢). والأفعال المفتوحة العين عبرت عن الفعاليات المتجهة من الذات نحو الآخرين في الأفعال المتعدية كما في أمَر، ضرَب، كسَر...، ولهذا قالت العرب: أصَل بفتح الصاد:استأصله. و (أصِل) بكسر الصاد: دلّ معناه على حالة ذاتية مثل قولهم (أصِل اللحم) فسد. و (أصُل) بضم الصاد دل على فعالية منبعثة الذات: أصُل النسب: شرُف(٣).

ومنهم من أشار إلى أنّ الفعل المفتوح العين يدل على العمل الصادر من الفاعل بإرادة منه حقيقة أم مجازًا مثل: (ضَرَب، خَرَج، أَكَل، فَتَح، دَخَل، قَطَع).

والفعل المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل دون إرادة منه حقيقة أم مجازًا مثل: (مرِض، حزِن، عطِش، علِم، فَرِح، سقِم، غرِق...) أما الأفعال المضمومة العين كلها بمعنى حصول الشيء للفاعل لا حصولاً طارئًا أو مؤقتاً، بل بكثرة و دوام وثبات ونهاية مثل: حسُن، خَشُن، كبُر،

---

(١) عباس، حسن: حول أصول حركات الشكل ودلالاتها، **اللسان العربي**، ع٣٣، ١٩٨٩، ص٩١.

(٢) يرى حسن عبّاس أن قلة من الأفعال قد شذت عن هذه القاعدة لسببين:

- إما لأن معاني بعضها يدل على حركة باتجاه الذات كما في (**لقِق، لغِف، لهِم، عشِق**).
- وإما لتصحيف في نقل حركة الشكل أثناء التدوين في بداية العصر الأموي، كما في فَعِل (**عدِم المال**): فقده، مما لا يدل على حالة ذاتية فكانت الفتحة أولى به.

والذي أراه أن **الكسرة** لاءمت معنى فقد المال؛ لأن **الكسرة** تشير إلى الخفاء فهي حركة يكسر لها المخرج ويهوي إلى أسفل.

- ومن الكلمات التي أصابها التصحيف – كما رأى حسن عباس، ص٩٢-٩٣، لفظ: عقم. فقد وردت في المعجم الوسيط **عَقَمت المرأة و الرجل (بالفتح)**: كان بهما ما يحول دون النسل. ويقال: **عَقَم الله المرأة والرجل**، جعله عقيماً. كما ورد فيه أيضا **عقُمت المرأة والرجل (بالضم)**، والأصح عنده أن تحرك عينه بالفتح للتعدية: عَقَمه الله وعَقَمها. أو تحرك بالكسر دون الضم؛ لأن العقم عجز ذاتي وحالة ذاتية تتوافقان مع خصائص **الكسرة** فالعقم ليس فعالية ذاتية كيما تحرك عينه بالضم. نقول:**عقِم بكسر القاف** في سياق عُقم المرأة والرجل: عدم الإنجاب أو في أن يكون له ولد. لكننا نقول: **عقُم العقل**: بمعنى لاخير فيه. **وعقُمت الدنيا**: لا ترد على صاحبها خيرًا، **وعقُمت الحرب**: اشتدت (بضم العين) وإشارة إلى قوة المعنى وشدته وتراكمه وتوثيقه وتغليظه وهذا ما لا يوحي به مجيء (**عين الفعل**) **مكسورًا**. انظر: عباس، حسن: حول أصول حركات الشكل ودلالاتها، **اللسان العربي**، ع٣٣، ١٩٨٩، ص٩٢-٩٣.

ولعلّنا نتساءل هنا: لم لا تكون حركة **عين الفعل** (**عتَم**) **الكسرة** فنقول: **عتِم**؛ فالكسرة المنخفضة إلى أسفل في هذا الفعل تناسب جميع معانيه المعجمية: الإبطاء والتأخير والخفاء والكف عن الشيء بعد المضي فيه والظلام.

(٣) عباس، حسن: حول أصول حركات الشكل ودلالاتها، **اللسان العربي**، ع٣٣، ١٩٨٩، ص٩٢.

صغُر، شرُف[١]..... وإذا تساءل أحدهم لماذا الفتحة تدل على العمل الإرادي، والكسرة على العمل غير الإرادي، والضمة على دوام الشيء وثباته؟ ذلك لأن فكي الفم عند نطق الفتحة يبتعدان الواحد عن الآخر. أما عند نطق الكسرة فتنخفض الشفة السفلى، وعند نطق الضمة تستدير الشفتان وتتدوران.

وزعم محمد مفتاح أن الكسرة تدل على الصغر واللطف، والفتحة تدل على الضخامة، والضمة تدل على القبح[٢]، وفي سياق آخر رأى أن الضمة والفتحة تدلان على الحزن والخشونة[٣]. والذي نراه أنّ معنى القبح والحزن والخشونة يعود إلى سابق معرفتنا بمعاني الألفاظ المعجمية التي تحملها هذه الحركات وبسياقاتها التركيبية. وليس إلى معاني حركاتها؛ فمعاني الحركات تظل "مفتقرة إلى مراجعة على ضوء القاعدة التي تبدو لنا أكثر موضوعية ودقة وعلمية، وهي الانطلاق من الخصائص الصوتية للحركات لإعطاء قيم تعبيرية تتماهى مع طبائعها الصوتية"[٤]. أما محمد الطرابلسي فعبّر عن المراوحة بين الحركات القصيرة والطويلة بالحركة والنشاط والاهتزاز[٥]. ورأى محمد النويهي أن توالي الضمات في التركيب يُرغم القارئ على أن يمطّ شفتيه إلى الأمام ويكوّرهما تكريرات متعاقبة في هيئة تحكي الصورة الضخمة المتكورة[٦]. ويرى عبد الحميد هنداوي أن التنقّل بين الحركات في لفظة (لَيُبَطِّئَنَّ) [٧] يؤدي إلى نوع من الثقل في النطق بما يشبه ثقل المتباطئ ويحاكيه. وأنّ توالي حركة الفتحة في لفظة (تَنَفَّس) [٨] يُضفي على "جوّ طلوع الصبح وميلاده نوعاً من الحركة والحياة التي نشعر بتدرجها شيئاً فشيئاً مع توالي الحركات، وكأنها تكاد تحاكي هذا الصبح الجديد"[٩].

---

(١) عبد الرحمن، ممدوح: **القيمة الوظيفية للصوائت دراسة لغوية**، دار المعارف الجامعية، ١٩٨٩م، ص٥٠- ٥١.

(٢) وذلك في بيت أبي البقاء الرّندي: هي الأمورُ – كما شاهَدْتَها – دُولٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ ساءَتْهُ أزْمانُ

مفتاح، محمد: **في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٠٤٩هـ/١٩٨٩م، ص٦٨-٦٩.

(٣) وذلك في بيت أبي البقاء الرندي: وهذِهِ الدارُ لا تُبْقِي عَلى أحَدٍ ولا يَدومُ- على حالٍ- لها شانُ

المصدر السابق، ص٧١.

(٤) زاهيد، عبد الحميد: **الصوت في الدراسات النقدية والبلاغية التراثية والحديثة عرض ونقد دراسة صوتية**، ط١، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ٢٠٠٠م، ص٢٣١.

(٥) وذلك في بيت أحمد شوقي: خُلِقْنا للحَياةِ وللْمَمـــاتِ ومِنْ هذَيْنِ كُلُّ الحادِثـاتِ

تجاوَزَتِ الوَلائدَ فاخِراتٍ إلى فَخْرِ القبائلِ واللغاتِ

انظر: الطرابلسي، محمد الهادي: **خصائص الأسلوب في الشوقيات**، منشورات الجامعة التونسية، طبع المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ١٩٨١م، ص٥٨.

(٦) وذلك في بيت الأعشى: (هِرْكَوْلَةٌ فُنُقٌ دُرُمٌ مرافِقُها) الذي يصف فيه امرأة سمينة ضخمة الأوراك ممتلئة الذراعين بالشحم. هركولة: ضخمة الوركين. فنق: منعمة. درم: جمع أدرم. والمرفق الأدرم الذي يكسوه الشحم ويغطيه فلا يكون عظمه ناتئا. انظر: النويهي، محمد: **الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ج١، ص٤٧-٤٨.

(٧) في الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً. وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً﴾، سورة النساء، الآيتين (٧١، ٧٢).

(٨) في الآية الكريمة: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، سورة التكوير، آية ١٨.

(٩) هنداوي، عبد الحميد: **الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، الدار الثقافية للنشر، ص٧٢.

ووجد إبراهيم أنيس أن الكسرة رمز المؤنث[١]، أما عبد الله الطيب فرأى في مرشده: أن الكسرة توحي بالرقة واللين، وتوحي الضمة بالأبهة والفخامة[٢]، ومن خلال تأمله للشعر العربي وجد في الغالب "أرق قصائده مكسورات الروي... وأفخمها مضموماته.... ووجد شعراء الرقة يميلون إلى استعمال الكسر، وشعراء الفخامة يميلون إلى الضم"[٣]. ثم قدّم أمثلة على ذلك فرأى أن المتنبي ميّال إلى الضم، والبحتري إلى الكسر، وبيّن أن زهيرًا مثلا يُجيد في مضموماته أكثر من مكسوراته... وامرأ القيس يحسن في الكسر أكثر من الفتح. ورأى الفرزدق ميّالاً إلى الضم، وجرير إلى الكسر[٤]، ووافقه النويهي عندما قال:

"تذكر أنّ جريرًا حين أراد أن ينقض لامية الفرزدق:

إنّ الذي سَمكَ السَّماءَ بَنَى لَنا بَيْتًا دعائمُهُ أَعَزُّ وأَطوَلُ

لم يرتح إلى الضمة مجرى لروي نقيضته وآثر العدول عنها إلى الكسرة:

لِمَن الدِّيار كَأَنَّها لَمْ تُحْلَلِ بين الكِناس وبين طلح الأعزلِ

وهذا من خير الشواهد على رقة جرير بالمقارنة إلى غلظة الفرزدق[٥].

وهكذا نرى أنّ لكل شاعر وصاحب كلام موزون (حركة) حظيت عنده، وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منثور؛ إذ لا بد أن يكون قد لهج وألف حركة بعينها؛ ليديرها في كلامه ويجريها على لسانه، وهذا راجع لذوقه الخاص ولطبيعته الإنسانية والاجتماعية والثقافية.

ولقد ظهر انتقاء لبعض الحركات كالكسرة أو الضمة عند بعض القبائل وذلك في الصيغة الواحدة، ومرد ذلك تأثير البيئة؛ فالبيئة البدوية أميل إلى استخدام الضمة لقوتها وثقلها، والحضرية أميل إلى الكسرة لرقتها. ولإحساس المتكلم والحالة التي يعيشها دور في الميل إلى حركة دون أخرى، "والشعراء المعاصرون يكثرون من الكسر؛ لما يشعرون به فيه من لين وانكسار يلائم العواطف الرقيقة المنكسرة التي يريدون أن يُعَبِّروا عنها"[٦].

والمتوقع أن تشيع الفتحة الخفيفة في أي بيئة، حيث الميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وبذل أقل جهد سيحقق له الهدف من الكلام، لكن للذوق الخاص الدور الأكبر في تفضيل نوع معين من الحركات يميل إليها الفرد منّا ويتمسك بها في كلامه؛ لأنها تَعلَق في قلبه وتتصل بطبيعته.

---

(١) أنيس، إبراهيم: **من أسرار اللغة**، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٣٣.

(٢) الطيب، عبد الله: **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، ط١، دار الفكر، القاهرة، ١٩٥٥م، ط٢، بيروت، ١٩٧٠م، ج١، ص٦٩.

(٣) **المصدر السابق**، ج١، ص٦٩.

(٤) **المصدر السابق**، ج١، ص٦٩-٧٠.

(٥) النويهي، محمد: **الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ج١، ص٦٣.

(٦) الطيب، عبد الله: **المرشد إلى فهم أشعار العرب**، ج١، ص٧٠.

رأي المحدثين الغربيين:

يرى الألسنيون الغربيون أن "كل عمل أدبي فني هو – قبل كل شيء – سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى[١] وأنّ عزل الصوت عن المعنى افتراض خاطئ[٢] فلا وجود لشعر دون شيء من الإدراك العام لنغمته الانفعالية[٣]، بل إن نغمته "لا تصوّر شيئا سوى المعنى"[٤]. فنغمة الحركات من الأمور التي نحتاج إليها لتحويل الأصوات اللغوية إلى وقائع فنية[٥]. وقد قدّم "موريس غرامونت" دراسة للحركات في الشعر الفرنسي، فوجد أنها تستطيع التعبير عن الصغر والسرعة والرشاقة وما شابه ذلك[٦]. وآخرون وجدوا أن التجارب السمعية يمكن أن تثبت الترابط الأساسي بين الحركات الأمامية (e,i) والموضوعات الرقيقة، السريعة، المشرقة، الجلية وبين الحركات الخلفية (o,u) والموضوعات الثقيلة، البطيئة، السمجة، المظلمة[٧]. وأنه يمكننا الاستفادة من خصائص الحركات في بيان العواطف والحالات النفسية فأصوات الارتفاع (o,u) تناسب حالات الوقار والعظمة والخوف والرعب والوحشة، وأصوات الانخفاض (e,i) تناسب العواطف السريعة والشديدة، مثل الشكوى والأنين والحزن أو البشاشة والنشوى والسرور[٨]. ومع أنّ هذه الدراسة عرضة للاتّهام بالذاتية كما رأى كُلٌّ من "رينيه ويليك" و "أوستن وارين" إلا أنها تظل ضمن نسق لغوي يعطي شيئاً عن سيماء (Physioghomy) الكلمة[٩].

وفي النهاية نخلص إلى أن:

دلالة حركات الحروف على معانيها ظاهرة بيّنة، وأن لهذه الحركات خواص وصفات منطلقة من صفاتها النطقية والفيزيائية كالقوة والضعف والخفة والثقل، والامتداد والاتساع والانتشار، والضم والجمع، والانخفاض... فناسب لذلك بعض الحركات بعض المعاني دون بعض وعلى هذا ينبغي على واضع اللغة أن يراعيها؛ فيضع كل حركة لما يناسبها من المعاني لا لما ينافرها.

---

(١) ويليك، رينيه وواورين، اوستن: **نظرية الأدب**، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الدين الخطيب، ط٣، ١٩٦٢م، ص ٢٠٥.

(٢) **المصدر السابق**، ص٢٠٦.

(٣) **المصدر السابق**، ٢٠٦.

(٤) درو، اليزابيث: **الشعر كيف نفهمه ونتذوقه**، ترجمة محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، نيويورك، ١٩٦١م، ص ٤٩.

(٥) **المصدر السابق**، ٢٠٨.

(٦) **المصدر السابق**، ٢١١.

(٧) **المصدر السابق**، ٢١١.

(٨) خانلرى، ترويزناتل: **حول وزن الشعر**، ترجمة محمد محمد يونس وتعليقه ودراسته ، نشر مكتبة الشباب، ١٩٩٤م، ص ١٥٣، ١٥٥.

(٩) ويليك، رينيه وواورين، اوستن: **نظرية الأدب**، ص٢١١.

الحركات العربية
مرجع الذوق الجمالي

اتفق القدماء والمحدثون على أنّ الفهم العميق والدقيق للفن لا يكون إلا من خلال تعلّم لغته الفنية – أصواته وألفاظه – ووسائله الجمالية[١]. عن طريق أصوات ألفاظه نستطيع أن نجد نغمة بجمال القطع الموسيقية وجاذبيتها[٢]. وبأن دراسة الجمال في اللغة هي رصد إمكانيات اللغة، وفهم أسرارها[٣]، ففي العديد من الأعمال الفنية، الشعر خاصة، تلفت طبقة الصوت الانتباه وتؤلف بذلك جزءا لا يتجزّأ من التأثير الجمالي"[٤]. لهذا يكون للحركات القصيرة والطويلة دور في تحقيق جمال اللفظة أو قبحها، فمِن كمال الصوت وجماله: الاعتدال في حركات اللفظة "فإذا توالت خمسة متحركات كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن، ولذلك كان الشعر لا يحتملها وأما أربع حركات فإنها في غاية الثقل بل المفيد توالي حركتين يعقبهما سكون أو إنْ كان لا بد فتوالي ثلاث حركات"[٥].

وتارة تكتسي اللفظة جمالا، وتارة يسلب ذلك الجمال عنها، وليس ذلك إلا بسبب اختلاف تأليف حركاتها. وأنها مبنية من حركات ثقيلة[٦].

فكان للقدماء الحس اللغوي في استخدام الفروق بين الفتحة من ناحية، والكسرة والضمة من ناحية أخرى في تأليف اللفظة، فأجمل الحركات الفتحة لخفتها فالكسرة فالضمة.

فإنّ من العرب مَن يَفِرّ من الضم والكسر إلى السكون تخفيفاً وتجميلاً للكلام. وذلك قولهم في: عضُد: عضْد وفي فخِذ: فخْذ وفي كبِد: كبْد وفي رجُل: رجْل[٧]. ولا يفرون من الفتح إلى السكون، قال سيبويه: "قلت للخليل ما الدليل على أن الفتحة أخف الحركات؟ قال: قول العرب في عَضُد: عَضْد، وفي كَبِد: كَبْد، ولم يقولوا: في جَمَل: جَمْل ولا في قمَر: قمْر، فدل ذلك على أن الفتحة أخف الحركات، ومع ذلك فإن الضمة والكسرة تخرجان بتكلّف واستعمال للشفتين، والفتحة تخرج مع النَفَس بلا علاج"[٨].

---

(١) الضالع، محمد صالح: **الأسلوبية الصوتية**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٠.

(٢) خانلرى، ترويزناتل: **حول وزن الشعر**، ص ١٦٣.

(٣) الضالع، محمد صالح: **الأسلوبية الصوتية**، ص ٢٠.

(٤) رينيه، ويليك ووارين، اوستن، **نظرية الأدب**، ص٢٠٥، وانظر: المسعدي، محمود، **الإيقاع في السجع العربي، محاولة تحليل وتحديد**، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ص٩٩.

(٥) الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ/١٢١٠م): **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق: إبراهيم السامرائي وتقديمه، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥م، ص٥٩.

(٦) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، حققه وعلق عليه: الشيخ كامل محمد محمد عويضة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص١٨٧-١٨٨.

(٧) وهي لغة بكر بن وائل، وأناس كثير من تميم.

(٨) الزجّاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م): **كتاب اللامات**، ط٢، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سورية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣٥.

ومَنْ كان هذا من لغته في الأسماء فإنه يقول أيضا في الأفعال: ضُرْب زيد، وهو يريد ضُرِب زيد، وعُصْر الثوب، وهو يريد عُصِر الثوب. "وكان أصل لَيس: لَيِس على وزن (فَعِل) فأُسكن من هذه اللغة ولزمها السكون؛ لمّا لَمْ تتصرّف ولم تُستعمَل على الأصل[١].

وكان "إذا توالت حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تُستثقل – لم تُستكره – وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة، فإنه إذا توالى منها حركتان في كلمة واحدة استثقلت – استكرهت –"[٢].

فكان لك أن تخفف، نحو: رُسُل: رُسْل، وكُتُب: كُتْب، وطُنُب: طُنْب، وقولهم في إبِل: إبْل[٣]. ولم يخففوا ضرَب وقتَل وأكَل وجبَل.

ومثّل ابن الأثير على ذلك ورأى أننا إذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهي – ج ز ع – ووالينا حركة الفتح فقلنا (الجَزَع) كان ذلك أحْسَن من موالاة حركة الضم عند قولنا (الجُزُع)[٤].

وأسقط لغويو العرب القدامى استثقالاً واستكراهًا جُمْلة من الألفاظ لا تنسجم صوتيًا، بسبب تنافر حركاتها مثل لفظتي: الخُعْخُع والجِرِشّى، لتتابع الضمتين في الخُعْخُع وتتابع الكسرتين في الجِرِشّى، فهذا التتابع ثقيل على اللسان من جهة وقوعهما على صوت (الخاء) المفخم، مما زاد في ثقلهما[٥]. – والسكون بين الضمتين لا تعد حاجزًا لضعفها –[٦].

وجعل السبكي في عروسه من المستقبح تتابع الكسرات[٧] نحو تتابعها في الجِرِشّى والمراد بها النَّفْس في قول المتنبي:

مُبارَكُ الاسْمِ أغَرُّ اللَّقبْ كريمُ الجِرِشّى شريفُ النَّسبْ[٨]

(١) الزجّاجي، **كتاب اللامات**، ص٣٦.

(٢) ابن الأثير، **المثل السائر**، ج١، ص١٨٧.

(٣) ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، ص٥٣٧، وانظر: ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٧٦.

(٤) ابن الأثير، **المثل السائر**، ج١، ص١٨٧.

ورأى أن الجيم المفتوحة (**الجَزع**) أو المكسورة (**الجِزع**) أجمل من قولنا (**الجُزع**) بالجيم المضمومة ونبه من جهة أخرى أن توالي حركة الضم في بعض الألفاظ لم يحدث فيها كراهة ولا ثقلا فجاءت جميلة كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ – القمر آية ٣٦ – وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ – القمر آية ٤٧ – وكقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ – القمر آية ٥٢ –. وهذا لا ينقض ما أشار إليه ابن الأثير؛ "لأن الغالب أن يكون توالي حركة الضمة مستثقلاً، فإذا شذ عن ذلك شيء يسير، لا ينقض الأصل المقيس عليه". انظر: ابن الأثير، **المثل السائر**، ج١، ص١٨٨.

(٥) السبكي، **عروس الأفراح**، ج١، ص٥٨–٥٩.

(٦) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٦٩.

(٧) السبكي، **عروس الأفراح**، ج١، ص٧٢.

(٨) **المصدر السابق**، ج١، ص٦٦، وانظر: كتابنا: القيم الدلالية والجمالية للحروف في العربية، عود على بدء، في الأسباب الأخرى في كراهية هذه اللفظة.

وانظر إلى لفظة الثُّلْث والرُّبْع إلى العُشْر؛ فحالها جميلة حسنة سائغة الاستعمال في حالة سكون الوسط، أما إذا تحركّت أوساطها فقلت: ثُلُث رُبُع خُمُس وكذلك عُشُر فإنّ الجميل من تلك الألفاظ ثلاثة هي الثُّلُث والخُمُس والسُّدُس.

أما الرُّبُع والسُّبُع والثُّمُن والتُّسُع والعُشُر فليس كذلك في جماله وحسنه، ويظهر ذلك خاصة في السُّبُع والتُّسُع والعُشُر فإن الثقل ظاهر فيها.

فأما الرُّبع والثُّمُن فإنهما في الجمال والحُسن مع تحريك الوسط كـ الثُّلُث والخُمُس والسُّدُس[١].

والذي نلاحظه هنا أنّ الحروف الممتدة بامتداد النغم – الاحتكاكية – منها ما يُبشِّع مسموع النغم إذا اقترنت بها الألفاظ مثل: (العين والحاء والظاء). ومن الحروف ما لا يُبشّعه، وهي هذه الثلاثة (اللام، والميم، والنون) [٢].

ولهذا جاءت الألفاظ: الثُّلُث والخُمُس والسُّدُس – حيث الدال انفجارية لا تمتد – أجمل من الألفاظ: السُّبُع والتُّسع والعُشر.

أما الألفاظ التي على وزن (فُعَلَة) نحو: هُمَزَة ولُمَزَة وجُثَمَة ونُومَة ولُحَنة، وما أشبه ذلك: الغالب عليها أن تكون جميلة حسنة[٣].

"وأنك لا تجد في الثنائي على قلّة حروفه ما أوله مضموم إلا القليل، وإنما عامته على الفتح نحو: (هَل، وبَل، وقَد، وأَن، وعَن، وكَم، ومَن)، وفي المعتل: (أَو، ولَو، وكَي، وأَي).

أو على الكسر نحو: (إن، ومِن، و إذ)، وفي المعتل: (إي، وفي، وهي) [٤].

أما الضم فلا نجد إلا في قولهم: "(هُو)، وأمّا (هُم) فمحذوفة مِن (هُمو)، كما أنّ (مُذ) محذوفة من (مُنذ)"[٥].

وكذلك جميع ما جاء من الألفاظ على حرف واحد: عامته على الفتح إلا الأقل نحو: (همزة الاستفهام) و(واو العطف)، و(فائه)، و(لام الابتداء)، و(كاف التشبيه)... و

وقليل منه مكسور: كـ(ياء الإضافة ولامها)، و(لام الأمر)، ولو عُرِي ذلك من المعنى الذي اضطره إلى الكسر لما كان إلا مفتوحًا.

ولا نجد في الحروف المنفردة ذوات المعاني ما جاء مضمومًا، هربًا من ثقل الضمة[٦] وقبحها.

---

(١) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج٢، ص٢٣٥.

(٢) الفارابي، أبو النصر محمد بن محمد (ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م): **الموسيقى الكبير**، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ص١٠٧٢-١٠٧٣.

(٣) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص٢٣٦.

(٤) ابن جني **الخصائص**، ج١، ص٧٠.

(٥) **المصدر السابق**، ج١، ص٧٠.

(٦) **المصدر السابق**، ج١، ص٧٢.

أما نحو قولك: **اُقتل، اُدخل، واُستقصي عليه**، فأمره غير معتدّ، إذا كانت هذه الهمزة إنما يُتبلّغ بها في حال الابتداء، ثم يسقطها الإدراج الذي عليه مدار الكلام ومتصرفه.

ولا يعذب النطق بالواو الساكنة مع الكسرة قبلها لهذا لم يقولوا: مِوْعاد وإنما قالوا: ميعـاد[١]. ولا يعذب النطق بالياء الساكنة مع الضمة قبلها.

واللفظ الذي يتوالى فيه أربع حركات يسكّن بعضها[٢]. فاللّهْجَة بتسكين الهاء أجمل من اللَّهَجَة بفتحها[٣]. ومنه قراءة أهل الحجاز يقولون (يُعَلِّمُهُم ويلْعَنُهُم) [٤] مثقلة، ولغة تميم (يُعَلِّمْهم ويلْعَنْهُم) بتسكين الميم والنون. "قال أبو الفتح: أما التثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه، لأنه استيفاء واجب الإعراب، لكن من حذف فَعَنْهُ السؤال، وعلته توالي الحركات، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الإعراب[٥]. ومنه قراءة مَسْلمة بن محارب ﴿وَإِذْ يَعِدْكُمُ اللَّهُ﴾ [٦] بإسكان الدال.

ومنه قراءة أبي عمرو ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئْكُمْ﴾ [٧]، بسكون الهمزة، وحكى أبو زيد ﴿بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [٨]، بسكون اللام[٩]. "وكقولهم: ربيعة ومُضَر؛ وكان تقديم مُضَر أولى من جهة الفضل، ولكن آثروا الخفة؛ لأنك لو قدّمت مُضر في اللفظ كثرت الحركات وتوالت، فلما أُخّرت وقف عليها بالسكون"[١٠]. ويقال: هذا مَلْك يميني وهو أجمل من الكسر[١١] لخفة الفتحة ولأنها أليق لهذا المعنى من الكسر. وفي أمالي القالي: الأَنملة والأُنملة لغتان: طرف الإصبع، وأَنملة أجمل [١٢]، وشَغَب أجمل من شغِب، ورعَف أجمل من رعِف، ولغَب يَلْغُب أجمل من لغِب يلْغَب[١٣] لتجنب الحركة الثقيلة

---

(١) السيوطي، **المزهر**، ص٢٥١.

(٢) السيوطي، **المزهر**، ص٢٦٦.

(٣) **المصدر السابق**، ص١٧٥.

(٤) **سورة البقرة**، آية ١٢٩، ١٥٩.

(٥) ابن جني، **المحتسب**، ج١، ص١٠٩.

(٦) **سورة الأنفال**، آية، ٧، ٩، ١٠، انظر: ابن جني، **المحتسب**، ج١، ص٢٧٣.

(٧) **سورة البقرة**، آية ٥٤.

(٨) **سورة الزخرف**، آية ٨٠.

(٩) ابن جني، **المحتسب**، ج١، ص١٠٩.

(١٠) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٥٢.

(١١) السيوطي، **المزهر**، ص١٧٤، ملك يميني: أي أملكه وهو في تصرّفي.

والفتحة أجمل لخفتها ولأنها أليق لهذا المعنى من الكسر؛ فهو يتصرّف بالشيء الذي يملكه ويوجهه كما يريد وهذا يحتاج إلى خفة وسرعة تناسب **الفتحة الخفيفة** ولا تناسب **الكسرة القوية**.

(١٢) السيوطي، **المزهر**، ص١٧٤.

(١٣) **المصدر السابق**، ص١٧٦.

شغِب عليه لغة في **شغَب**، وشَغَب القوم وبهم وعليهم: هيّج الشر عليهم. رَعِف الرجل لغة في رَعَف، ورَعَف الرجل: خرج الدم من أنفه. **لغِب**: تعب وأعيا أشد الإعياء. **ولغَب** لغْبا القوم: حدثهم حديثا كاذبا. **والفتحة أجمل** لأجل حرفي الحلق: **العين والغين**. فالعرب قد تجنبت الحركة الثقيلة على مثل هذه الحروف ومنه قراءة الحسن **(ينْحَتون)** – الحجر آية ٨٢١ – بفتح الحاء. قال أبو الفتح: أجود اللغتين نحت **ينحِت**، بكسر الحاء، وفتحها لأجل حرف الحلق الذي فيها. انظر: ابن جني، **المحتسب**، ج٢، ص٦.

ومن ذلك: **الوحْل** لغة في **الوحَل** قبيحة. انظر: السيوطي، **المزهر**، ص١٨٢. ومن ذلك قراءة سهل بن شعيب النهمي: **(جَهَرة)**، سورة البقرة، آية ٥٥، و **(زَهَـرَة)**، سورة طه، آية ١٣١، قال أبو الفتح: مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح: أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه، **كـالزَّهْرة والزَّهَرة، والنَّهْر والنَّهَر، والشَّعْر والشَّعَر**. فهذه لغات عندهم كغيرها مما ليس الثاني فيه حرفا حلقيًا **كالنَّشْر والنَّشَر والحلْب والحلَب والطَّرْد والطَّرَد**. انظر: ابن جني، **المحتسب**، ج١، ص٨٤، ٢٣٤.

ومذهب ابن جني فيه كمذهب البغداديين: في أن **حرف الحلق** يؤثر هنا من **الفتح** أثراً معتمداً، "فلقد رأيت كثيرا من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لولا حرف الحلق وهو قول بعضهم: **نَحَوَه** يريد **نَحْوه**. وهذا ما لا توقُّف في أنه أمر راجع إلى حرف الحلق، لأن الكلمة بنيت عليه ألبتة". انظر: ابن جني، **المحتسب**، ج١، ص١٦٦-١٦٧.

على حروف الحلق. وقولهم: عطَس يعْطِس بكسر الطاء، أجمل من يعطُس بضم الطاء[١]، وذلـــك لأنّ الواحد منا عندما يعطِس تتجه حركة رأسه إلى أسفل وهذا يناسب صفة الكسرة لا الضمة.

ومن قبيح الألفاظ قولهم: عليكِم وبِكِم حيث كان قبل الكاف (ياء) أو (كسرة) [٢]. ومن ذلك قـــولهم: منهِم وعنهِم وبينهِم وإن لم يكن قبل الهاء (ياء) ولا (كسرة)[٣]؛ لثقل الانتقال من نطق الكسرة إلى نطق الميم؛ حيث تحتاج الميم عند نطقها إلى ضم الشفتين وجمعهما، وهذا لا يلائم نطق الكسرة حيث تكـــون الشفتان عندئذ في حالة انفراج، وتراجع نحو الخلف، فجاءت الضمة على (الكاف) وعلى (الهاء) أجمل لمناسبة نطقها مع نطق الميم بعدهما.

واليسار بالكسرة لغة في اليَسار وهي قبيحة[٤]، وذلك لثقل الكسرة على الياء لأنهـــا مـــن جنـــسها، وقولهم: دمِعَت عيني بكسر الميم لغة قبيحة[٥]، وتميم تقول: الحمدِ لله بكسر الدال ولا خيـــر فيهـــا[٦]، لتتابع الكسرتين فيثقل النطق بهما.

أما قولهم: جرِعتُ بالكسر أجمل من جرَعْتُ بالفتح[٧]، والوتَد بفتح التاء لغة في الوتِد: وقبيحة[٨]. ومِلاك الأمر، بكسر الميم أجمل مِنْ مَلاك الأمر بفتح الميم[٩]. نقول: إن الكسرة الثقيلة أجمل من الفتحة الخفيفة في هاتيك الألفاظ لأنها أليق بمعناها؛ فجرِع الماء: ابتلعه، والابتلاع: اتجاه إلى الـــداخل وهـــذا يناسب الكسرة بسبب انخفاض الشفة السفلى إلى أسفل عند نطقها، و وتِد: ثبت. وتِد رجله في الأرض: ثبتها. فهناك علاقة بين الرِجل والأرض، ثم إنّ التثبيت يتّجه إلى أسفل نحـــو الأرض. ونلمـــس هـــذه العلاقة في قولنا: مِلاك الأمر: الاقتدار وقوامه الذي يملكه به، فنقول: القلب مِلاك الجسد.

وهكذا نرى أن اللسان يتحرك نحو الشيء الذي تكون حركته إليه أسهل عليه بالفطرة[١٠]. أو نحـــو الحركة التي تليق بمعناه.

---

(١) السيوطي، **المزهر**، ص١٧٦.

(٢) السيوطي، **المزهر**، ص١٨١، وهذه لغة قوم من كَلْب.

(٣) **المصدر السابق**، ص١٨١، وهذه لغة قوم من كَلْب.

(٤) **المصدر السابق**، ص١٨٢.

(٥) **المصدر السابق**، ص١٨٣، مع أنني أرى أن **الكسرة أجمل** لأنها جاءت تلائم **الدمْعَة** فكلاهما يتجهان إلى أسفل، بل ربما كانت **أجمـــل من دَمَع بفتح الميم**.

(٦) **المصدر السابق**، ص١٨٣.

(٧) **المصدر السابق**، ص١٧٨.

(٨) **المصدر السابق**، ص١٨٢.

(٩) **المصدر السابق**، ص١٨٢.

(١٠) الفارابي، أبو النصر محمد بن محمد (ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م): **كتاب الحروف**، حققه وقدم له وعلق عليه: محسن مهدي، دار المـــشرق، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٣٥.

ثم إننا من جهة أخرى نرى أنّ اللفظة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية. وللانسجام درجات بعضها أيسر من بعض؛ فتوالي الضم ثم الكسر ثم الفتح أشق من توالي ضمتين ثم الفتح أو توالي كسرتين ثم الفتح. وربما كان أيسر من هذا وذاك أن تصبح هذه اللفظة مشتملة على ضم ثم فتحتين، وتكرير الفتحة نفسها أفضل من مجاورتها مع غيرها الضمة والكسرة.

يقول ابن جني: "فكما يَحْسُن تآلف الحروف المتفاوتة كذلك يَحْسُن تتابع الأحوال المتغايرة على اعتدال وقرب، لا على إيغال في البعد"(١)، لذلك كان مثال (فَعْل) نحو (نَفْس وخَصْم وحَسْم) أعدل الصيغ حتى كثر وشاع وانتشر؛ وذلك أنّ فتحة الفاء، وسكون العين، وإسكان اللام أحوال مع اختلافها متقاربة، ألا ترى إلى مضارعة الفتحة للسكون في أشياء، فسوى القدماء بين الفتحة والسكون في العدول عن الضمة والكسرة إليهما نحو قولك في جمع فُعْلة وفِعْلة: فُعُلات بضم العين نحو: غُرُفات، وفِعِلات بكسرها نحو: كِسِرات.

ثم يُستَثْقل توالي الضمتين والكسرتين فيُهْرَب عنهما تارة إلى الفتح فتقول:غُرَفات وكِسَرات وأخرى إلى السكون فتقول: غُرْفات وكِسْرات(٢).

أما صيغة (فِعُل) فلم تأت لفظة في العربية على هيئتها لأنه يثقل الخروج من الكسرة إلى الضمة(٣). وأثقل الصيغ نطقًا على اللسان (فُعُل) نحو: كُتُب، رُسُل، خُلُق،... ومن ثمّ (فِعِل) نحو: إبِل، وإبِد، وإطِل... ونتساءل هنا: إذا كانت الضمة أثقل من الكسرة، فما بالهم كثر عنهم باب (فُعُل) وقلّ عنهم باب (فِعِل)، فكثر في كلامهم ما يستثقلون.

يقول ابن جنّي: إن "الضمة وإن كانت أثقل من الكسرة فإنها أقوى منها"(٤)، وإن قلت: فقد كثر عنهم توالي الكسرتين في نحو كِسِرات وعِجِلات. قيل: هذا إنما احتمل لمكان الألف والتاء كما احتُمل لهما صحة الواو في نحو خُطُوات وخُطَوات(٥).

أما (فُعِل) نحو: دُرِس، عُلِم، سُمِع، أخف وأجمل من (فُعَل) نحو: زُحَل، وزُفَر، وجُشَم(٦).

فالانتقال من ضمة ثقيلة إلى كسرة ثقيلة أخف وأجمل من انتقالها إلى فتحة خفيفة.

---

(١) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٦٠.

(٢) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٦٠.

(٣) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، ج١، ص٩٠، وانظر: السيوطي، **المزهر**، ص١٩٧.

(٤) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٦٩-٧٠.

(٥) **المصدر السابق**، ج٣، ص١٨٦.

(٦) **المصدر السابق**، ج٣، ص٩٠، صيغة (**فُعِل**) لا حظّ فيها للاسم، وإنما هي أمر يخص الفعل، وأما دُئِل فشاذ. وانظر: ابن جني، **الخصائص**، ج٣، ص١٨٢-١٨٣.

وكذلك (فُعُل) أخف وأجمل من (فُعَل) [١].

تنبيـــــــه

الذي نريد قوله: إنّ رتب الجمال متقاربة، وإن اللفظة تخف وتثقل، فتحسن وتقبح بحسب الانتقـــال من حركة إلى حركة لا تلائمها قربا أو بعدا. فإن كانت الحركات ثلاثية فتراكيبها اثنا عشر:

	الصيغة	المثال	الرتبة في الجمال
الأول	فَعْل	نفْس	١
الثاني	فِعْل	حِلْم	٣
الثالث	فُعْل	بُخْل	٤
الرابع	فَعَل	دَرَس	٢
الخامس	فُعَل	فُسَح	١٠ ثقيل
السادس	فِعَل	مِنَن	٦
السابع	فَعِل	نَعِم	٧
الثامن	فِعِل	إِبِل	٨ ثقيل
التاسع	فُعِل	سُمِع	٥
العاشر	فَعُل	ظَرُف	١١ ثقيل
الحادي عشر	فِعُل	---	١٢ رُفض للاستثقال
الثاني عشر	فُعُل	كُتُب	٩ ثقيل

ودليلنا على أنّ رتب الجمال متقاربة أنّ (فُعْل) و (فَعَل) أختان متعاقبتان على المعنـــى الواحـــد[٢]، نحو: الشُّغْل والشَّغَل، والبُخْل والبَخَل. والعُرْب والعَرَب، والعُجْم والعَجَم.

ونحو ذلك (فِعْل) و(فَعَل) نحو: بِدْل وبَدَل، وشِبْه وشَبَه ومِثْل ومَثَل.

ورأوا (فِعْل) و (فُعْل) قد اعتقبا على المعنى الواحد نحو: عِلْو وعُلْـــو، وسِـــفْل وسُـــفْل، ورِجْـــز ورُجْز [٣].

---

(١) يرى ابن جني أنّ (فُعَل) دون (فُعْل) لأن كثيرا ما يُعْدَل عن أصول كلامهم نحو: عُمَر وزُفَر، وجُشَم، وزُحَل... فلما كـــان كـــذلك لـــم يتمكّن عندهم تَمَكُّن (فُعْل) الذي ليس معدولا. انظر: ابن جني، **الخصائص**، ج٣، ص ١٨٢- ١٨٣.

(٢) ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص١٠٢.

(٣) **المصدر السابق**، ج٢، ص١٠٢.

وما كان ثلاثياً مضموم الثاني أو مكسورًا (فَعُل) و (فَعِل) فلك فيه الإسكان تخفيفًا وتحسيناً نحو: عَلِم: عَلْم، وظَرُف: ظَرْف، وكَبِد: كَبْد[١].

ومثلما رفض العرب صيغة (فِعُل)، امتنعوا في الرباعي صيغة (فِعْلُل)[٢] لاستكراههم الخروج من كسر إلى ضم. "وإن كان بينهما حاجز لأنه ساكن، فضعف لسكونه عن الاعتداد به حاجزًا"[٣].

ورفضهم في الرُباعي (فَعْلُل) و (فَعْلِل) و (فُعْلَل)[٤].

وكره العرب تتابع الحركات الطويلة (ا، و، ي) نحو: الكيماء[٥] فكثافتها في حيز مكاني ضيق تنحو باللفظة نحو الثقل. ولكنها إذا كانت في موضع الإقلال لا في موضع الإكثار يتحصل بها النغم. والألف الحركة الطويلة أعلى امتداد نغمي في التراسلات الإيقاعية تتصاعد نحو الأعلى، وأقلها جهدًا عضلياً في عملية التلفظ وأخفها وأجملها جميعا. والياء امتداد تتجه ذبذباته الصوتية نحو الأسفل، والواو امتداد تتجه ذبذباته وتتكاثف أفقيا.

و"حروف المد قبل حرف الروي... ليكون ذلك مؤذناً بالوقوف، ومؤدياً إلى الراحة والسكون، وكلما جاور حرف المد الروي كان آنس به، وأشد إنعامًا لمستمعه"[٦].

ومن غايات الحركات الطويلة إظهار الصوت الواقع قبلها ومساعدته على مضاعفة ذبذباته واسترساله في الزمن؛ فإذا كان من الأصوات الجميلة العذبة اللذيذة الخفيفة على اللسان جعلته الحركة الطويلة أكثر جمالا وعذوبة. وإذا كان من الأصوات القبيحة الثقيلة على اللسان جعلته أكثر قبحًا.

فانظر إلى لفظ (اللُّب والكوب والحِبْر) [٧] يَقْبُح مفردًا ولا يَقْبُح مجموعا. بل إنّ الجمع (ألباب، أكواب، أحبار) يُكسبها من الحُسْن ما لم يوجد لها حالة الإفراد، فالباء والواو يستحسن ارتسامهما بسبب مجاورتهما (الألف): الحركة الطويلة الخفيفة ذات الامتداد النغمي الجميل.

ومما يَحْسُن مفردًا ويَقْبُح مجموعًا لفظ (طيْف، وفَقْد وأرض) [٨]؛ فهي في حالة الإفراد من أرق الألفاظ وألطفها لكنها إذا جُمِعَت (طيوف، وفقود، وأرضون) زالت عنها الطلاوة وفارقتها البهجة لمجاورتها الحركة الطويلة الثقيلة (الواو) [٩].

---

(١) **المصدر السابق**، ج٢، ص٣٣٨.

(٢) حُكيت عن بعض البصريين (**إصْبُع**) وهذا لفظ شاذ لا يتخذ مثله قياسا. انظر: ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٦٩.

(٣) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٦٩.

(٤) السيوطي، **المزهر**، ص١٩٦.

(٥) السبكي، **عروس الأفراح**، ج١، ص٧٢.

(٦) ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٢٣٥.

(٧) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص٢٣١-٢٣٥، وانظر: السبكي، **عروس الأفراح**، ج١، ص٧٢-٧٣.

(٨) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص٢٣١-٢٣٥، وانظر: السبكي، **عروس الأفراح**، ج١، ص٧٢-٧٣.

(٩) ومن جهة مجاورتها للضاد الانفجارية والمفخمة والمجهورة والقاف الحلقية والانفجارية والمفخمة، والياء المجهورة.

ومن هنا تزاد الهاء في بعض المواضع كقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[١]، ثم قال: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[٢].

"فإن الأصل في هذه الألفاظ كتابي، وحسابي ومالي وسلطاني، فلما أضيفت إليها هاء السكت أضافت إليها حُسنًا زائداً على حسنها، وكستها لطافة ولباقة"[٣]. لأننا لم نقف على الحركة الطويلة الثقيلة (الياء).

والمحدثون لم يخرجوا عمّا جاء به الأقدمون؛ فأجمل الحركات الفتحة فالألف لخفتهما فالكسرة فالياء فالضمة فالواو لثقلها. ففي دراسة حديثة قام بها علي حلمي موسى باستخدام الآلات الحاسبة الإلكترونية في دراسة ألفاظ القرآن الكريم؛ وجد أنّ الفتحة تستخدم أكثر من غيرها من الحركات في تشكيل ألفاظ القرآن بنسبة ٤٤% وتليها في التردد الكسرة بنسبة ١٨% ثم ألف المد بنسة ١٥% ثم الضمة بنسة ١٤% وفي آخر القائمة تأتي كل من الواو ٥% ثم الياء ٤%[٤].

وفي النهاية نخلص إلى أنّ:

فقهاء الأمة وبلغاءهم يتأملون ألفاظ أمتهم، ويُصلّحون المختلّ منها، وينظرون إلى ما كان النطق به عسيرًا ويَشْعُرون فيه بشاعة المسموع فيسهلوه، ويجعلوه لذيذًا في السمع[٥]. آخذين بعين الاعتبار خفة الفتحة وثقل الكسرة والضمة، وخصائصها النطقية من جهة أخرى.

خاتمة

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١. الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة.
٢. الوضوح السمعي للحركات، حيث تتفاوت في درجاته، فالفتحة أوضح من الكسرة والضمة، والألف أوضح من الياء والواو.
٣. الفتحة أخف من الضمة والكسرة، كما أن الكسرة أخف من الضمة، والألف أخف من الواو والياء، كما أن الياء أخف من الواو.

---

(١) **سورة الحاقة**، الآية ١٩-٢٠.

(٢) **سورة الحاقة**، آية ٢٨-٢٩.

(٣) ابن الأثير، **المثل السائر**، ج١، ص١٥١.

٤) انظر: جدول (٩) و (١٠) و (١١) موسى، علي حلمي: استخدام الآلات الحاسبة الإلكترونية في دراسة ألفاظ القرآن الكريم، **عالم الفكر**، م١٢، ع٤، ١٩٨٢م، ص١١١٧، ١١١٩-١١٢١.

(٥) الفارابي، **الحروف**، ص١٤٣-١٤٤.

٤. ما يجري على الضمة و (الواو) يجري على الكسرة و (الياء) لأنّ كُلاً منها صوت لين ضيق بخلاف الفتحة و (الألف)، فهما صوتان متسعان. وأنّ الياء أقرب إلى الألف من الواو، لأن الواو تحتاج إلى إخراجها إلى تحريك الشفتين، والياء تحتاج إلى تحريك الشفة السفلى. وأن الألف منفردة في كثير من أحكامها عن الواو والياء؛ لأن الياء والواو أختان في الثقل.

٥. الحركات الطويلة تختلف عن الحركات القصيرة بالطول فحسب.

٦. قدرة الحركات الطويلة على الاستمرار والامتداد، الألف أمدهنّ صوتاً والياء أصغر مدة من الألف، والواو تتوسطهما.

٧. أشار القدماء والمحدثون إلى معاني الحركات، واعتمدوا خصائصها النطقية والفيزيائية للدلالة على معاني ألفاظها فرأوا أن: الضمة وأختها الواو أقوى الحركات فجعلتا للمعنى الأقوى، والفتحة الخفيفة وأختها الألف للمعنى الخفيف، والمتوسطة – يعني الحركة التي بين القوي والخفيف وهي الكسرة وأختها الياء – للمعنى المتوسط.

٨. يدل تتابع حركة (الفتحة) على توالي العمل وعلى الحركة والخفة والإسراع وعلى طول المعنى وامتداده وانتشاره وانبساطه وانفتاحه واستمراره؛ لأن نطق الفتحة يقتضي انفتاح الفم وانفراج آلات النطق وامتدادها.

٩. وتدل حركة الضمة على قصر المعنى؛ لضم الشفتين عند النطق بها وعدم امتدادهما وعلى الأبهة والفخامة والضخامة والجمع...

١٠. وتدل حركة الكسرة على الخفض والخفاء والصغر والامتلاك والاحتواء والرقة واللين... ؛ لأن الشفة السفلى تنخفض إلى أسفل عند التلفظ بها.

١١. لأن الضمة حركة تضم لها الشفتان وتتدوران جاء رسم الضمة (ـــُـــ). ولأن الفتحة حركة ينفتح لها الفم ويتسع ويبسط جاء رسمها (ـــَـــ) ولأن الكسرة حركة ينكسر لها المخرج ويهوي إلى أسفل جاء رسمها أسفل الحركة (ـــِـــ). ولم يتفق مع رسم الضمة؛ لأن الشفتين عندئذ في حالة انفراج وتراجع نحو الخلف، فيبقى الفم مع حركة الكسرة مفتوحا كفتحه مع حركة الفتحة لكن بنسبة أقل.

١٢. وجود علاقة بين توالي الحركات في اللفظة وتواليها في الحدث؛ فيقدم ما يضاهي أول الحدث، ويؤخر ما يضاهي آخره، ويوسط ما يضاهي أوسطه، وقدمنا مثالا على ذلك لفظة مستشزرات بفتح الزاي وبكسرها، ولفظة تكأكأتم ولفظة إفْرَنْقِعُوا وغيرها.

١٣. الفتحة حركة خفيفة لا تحتاج إلى جهد عضلي لإخراجها، لهذا نجدها أكثر انتشاراً في كلام العرب من الضمة، فنجدها مع المنصوبات: المفاعيل الخمسة (المفعول به، المفعول معه، المفعول لأجله، المفعول فيه، المفعول المطلق) والمستثنى والحال والتمييز وخبر كان وأخواتها واسم إن وأخواتها. أما الضمة القوية فنجدها مع المرفوعات والمبتدأ والفاعل ونائبه واسم كان وأخواتها وخبر إنّ وأخواتها.

١٤. قدمت العرب الأثقل (المبتدأ والفاعل) وأخرت الأخف (المفعول به) في كلامها: من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفسا وأظهر نشاطاً.

١٥. لكل شاعر وصاحب كلام موزون (حركة) حظيت عنده، إذ لا بد أن يكون قد لهج وألف حركة بعينها؛ ليديرها في كلامه ويجريها على لسانه، وهذا راجع لذوقه الخاص ولطبيعته الإنسانية والاجتماعية والثقافية. فقد ظهر انتقاء لبعض الحركات كالكسرة أو الضمة عند بعض القبائل وذلك في الصيغة الواحدة، ومثال ذلك تأثير البيئة، فالبيئة البدوية أميل إلى استخدام الضمة لقوتها وثقلها، والحضرية أميل إلى الكسرة لرقتها. ولإحساس المتكلم والحالة التي يعيشها دور في الميل إلى حركة دون أخرى.

١٦. على واضع اللغة أن يراعي صفات الحركات وخواصها فيضع كل حركة لما يناسبها من المعاني لا لما ينافرها.

١٧. للحركات القصيرة والطويلة دور في تحقيق جمال اللفظة أو قبحها؛ تارة تكتسي اللفظة جمالا وتارة يسلب ذلك الجمال عنها وذلك بسبب اختلاف تأليف حركاتها. فكان للقدماء الحس اللغوي في استخدام الفروق بين الضمة من ناحية، والكسرة والضمة من ناحية أخرى في تأليف اللفظة، فأجمل الحركات الفتحة لخفتها فالكسرة فالضمة.

١٨. يتحرك اللسان نحو الشيء الذي تكون حركته أسهل عليه بالفطرة، أو نحو الحركة التي تليق بمعناه.

١٩. تميل اللفظة التي تشتمل على حركات متباينة في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية.

٢٠. رُتَبُ الجمال متقاربة، فاللفظة تخف وتثقل، فتحسن وتقبح بحسب الانتقال من حركة إلى حركة لا تلائمها قرباً أو بعداً.

٢١. من غايات الحركات الطويلة إظهار الصوت الواقع قبلها ومساعدته على مضاعفة ذبذباته واسترساله في الزمن؛ فإذا كان من الأصوات الجميلة العذبة اللذيذة الخفيفة على اللسان جعلته الحركة الطويلة أكثر جمالاً وعذوبة، وإذا كان من الأصوات القبيحة الثقيلة على اللسان جعلته أكثر قبحاً.